مـدرس
على ما تفرج

أمين عبدالتواب

مــدرس على ما تفرج
المؤلف : أيمن عبدالتواب

تصميم الغلاف : أحمد بلال

الطبعة الأولي : يناير 2018
رقم الإيداع : 28662 / 2017
الترقيم الدولي : 978-977-769-201-6

جميع حقوق الطبع محفوظه
الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com
القاهرة – 2 شارع شريف–
الدور الخامس – مكتب 57م :
01010490247
ت : (02)23963002

إهـــداء:

إلى أبنائي

محمد

ميسون

ميساء

التعليم ليس مجرد إحراز الدرجات النهائية في الامتحانات فقط؛ فالجهل قد يكون أفضل من علم لا ينقذكم من أنفسكم، ولا ينير لكم عقولكم.. فاحرصوا على قراءة ما ينفعكم، وانتفعوا بما قرأتم.

التوقيع:

أبوكم

(1) | قبل الغوص في الوحل

أنا من الجيل الذي تربى على قصيدة «قُم للمعلم» لأحمد شوقي، التي يقول فيها:

قُم لِلمُعَلِّمِ وَفِّـهِ الـتَبـجـيــلا
كادَ المُعَلِّمُ أَن يَكونَ رَسـولا
أَعَـلِمتَ أَشرَفَ أَو أَجَلَّ مِنَ الّذي
يَبني وَيُنشِئُ أَنفُسًا وَعُقولا

فهل كان «شوقي» محقًا فيما ذهب إليه؟ وهل كان مقتنعًا ـ كل الاقتناع ـ بالرسالة التي يحملها المدرس؟ وهل كان سيكتب قصيدته تلك لو قُدِّرَ له أن يعمل مُعلمًا؟ وماذا لو عاش حتى رأى معظم المدرسين يبتزون الطلاب تحت مسمى درجات أعمال السنة، أو الدروس الخصوصية؟

لقد عارض الشاعر الفلسطيني، إبراهيم طوقان ـ وكان يعمل «مُدرسًا» أيضًا ـ قصيدة أمير الشعراء شوقي، وكتب يقول:

شوقي يقولُ وما درى بمصيبتي
(قُمْ للمـعلمِ وفِّه التبجـيلا)
اقعدْ فديتُكَ هل يكونُ مبجلاً؟
مَنْ كان للنشءِ الصغارِ خليلا
ويكادُ يفلقني الأميرُ بقوله:
(كادَ المعلمُ أن يكونَ رسولا)
لو جربَ التعليمَ شوقي ساعةً
لقضى الحياةَ شقاوةً وخُـمولا
حسبُ المعلمِ غُمَّةٌ وكآبةً
مرأى الدفـاترِ بكرةً وأصيلا
مائةٌ على مائةٍ إذا هي صُلِّحَتْ
وجدَ العمى نحو العيونِ سبيلا
ولو أن في التصحيح نفعا يرتجى
وأبيك لم أك بالعيون بخيلا
لكـن أصحح غلطة نحوية
مثلا واتخذ الكتـاب دليلا
وأكاد أبعث سيبويه من البلى
وذويه من أهل القرون الأولى
وأرى حمـارا بعد ذلك كله

رفع المضاف إليه والمفعولا

وبعيدًا عن قصيدتي «شوقي» و«طوقان»، ربما يكون أبناء جيلي من المولودين في أوائل سبعينيات القرن الماضي، ومَنْ جاءوا بعدهم بسنوات أقل من أصابع اليد الواحدة، هم آخر الأجيال الطلابية التي تحترم المدرسين، وتوقرهم، وتنزلهم منزلتهم. تمامًا كما كان يفعل السابقون الأولون، قبل أن تحل عليهم لعنة مسرحية «مدرسة المشاغبين»، التي عُرضت بعد انتصار أكتوبر 1973 بأيام قليلة.

بعد هذه المسرحية بسنوات اختلفت نظرة الطلاب إلى المدرسين، لدرجة أن بعضم نظم بيتًا على غرار افتتاحية قصيدة أمير الشعراء، على هذا النحو:

قُم لِلمُعَلِّمِ وَفِّـهِ التلطيشا

كادَ المُعَلِّمُ أَن يموت فطيسا

هذه بعض النماذج التي يرددها كثير من الطلاب ـ هذه الأيام وما قبلها ـ معبرين بوضوح وجلاء عن طبيعة علاقتهم ونظرتهم إلى المدرسين. فما الذي طرأ على هذه العلاقة؟ وما الذي جعلها تنحرف عن الدرب الصحيح، المرسوم لها، والقائم على المحبة والاحترام والتقدير المتبادل؟

أعترف بأننا سمحنا بتعدد صور إهانة المُعلمين على كل المستويات؛ مهنيًا، وفنيًا، وإعلاميًا، ومجتمعيًا، وكانت النتيجة أننا رأينا مُعلمًا

يُضْربُ داخل محرابه، تارة من الطلاب، وأخرى من أولياء الأمور. مرة يُعْتدى عليه بالأيدي، وثانية بالأحذية، وثالثة بالأسلحة البيضاء، ورابعة.. وخامسة.. إلخ. وكأن المعلمين هم وحدهم الذين ارتكبوا كل الخطايا والموبقات، فاستحقوا العقاب البشري قبل الإلهي!

الآن، تستطيع ـ وبكل سهولة ـ اقتحام حرم أي مدرسة ـ حكومية أو خاصة ـ وتُهدر كرامة مَنْ شئت من المعلمين أمام الجميع، دون أن يعترض طريقك أحد. بل ربما تكون هذه الطريقة هي المثلى لأن تقابل مدير المدرسة؛ لتسحب من أمامه ورقة وقلمًا وتكتب مذكرة في المدرس الذي اعتديت عليه، إعمالًا بمبدأ: «الزبون على حق»!

لقد رأينا وسمعنا العجب العجاب خلال السنوات الماضية؛ مجموعة طلاب يتكالبون على مدرس داخل الفصل، فيشبعونه سبًا، وإهانة، وصفعًا، وركلًا، وضربًا. وعلى طريقة «ضربني وبكى وسبقني واشتكى»، يتوجهون إلى الإدارة، ويتهمون المدرس بأي اتهامات. وللأمانة فإن الإدارة، بل إن الوزارة غالبًا ما تنحاز للطلاب، و«طز» في المعلم!

ليس معنى ما سبق أن كل المدرسين «ملائكة»، بل هم بشر؛ مجرد بشر. منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك. الأمر نفسه ينطبق على الطلاب، لكن نسبة الانحراف لدى طلاب الثانوية العامة، تكاد لا تذكر إذا ما قارناها بتجاوزات وجرائم طلاب الدبلومات الفنية.

وظني أن كثيرًا من الطلاب لا علاقة لهم بالتجاوزات والجرائم التي تحدث داخل أسوار المدارس.

أما أكثر ما كان ـ ولا يزال ـ يثير حفيظتي، ويخرجني عن شعوري، فهؤلاء الطلاب الذين يحصلون على أكثر من «100 ٪»! ليس حقدًا عليهم، أو تشكيكًا في قدراتهم، بل مجرد تساؤل: كيف يحصلون على هذا المجموع؟ هل هم عباقرة حقًا؟

لقد سمعنا عن عباقرة مصريين، وعرب، وعالميين دون أن يحصلوا عن الدرجات النهائية أو يتجاوزونها في امتحانات المواد. فمعنى حصول طلاب هذا الجيل على الـ«فول مارك»، أو أكثر منها بقليل، أنهم لا يعرفون الخطأ. طلاب من كوكب آخر.. طلاب لا ينتمون للبشر إلا بالاسم والشكل فقط. فمن طبيعة البشر أنهم يخطئون. لكن هؤلاء لا يخطئون أبدًا!

ربما أتفهم أن يحصل الطالب على الدرجات النهائية في المواد العملية؛ تلك المواد التي لا تعترف إلا بلغة الأرقام «1+1= 2 ». تمامًا كما في مسائل الرياضيات، أو معادلات الكيمياء، ومسائل الفيزياء.. لكن أن يحصل على الدرجة النهائية في اللغة العربية، حيث التعبير، والنصوص، والتذوق الأدبي. فهذا شيء «لا يصدكه عكل»، على رأي الفنانة شويكار!

ظني أن حصول هؤلاء «النوابغ» على هذه الدرجات «الاستثنائية»،

لا يدل إلا على «فساد التعليم». نعم، فساد التعليم. والدليل أن كل، أو معظم الذين كانوا «مية مية» وحصلوا على الدرجات النهائية في الثانوية العامة، لم نسمع لهم ذكرًا، ولم نقتفِ لهم أثرًا بعد التحاقهم بالجامعة. لماذا؟ ظني ـ وليس كل الظن إثمًا ـ أن كثيرًا من هؤلاء لم يكونوا طلابًا، قدر ما كانوا «ماكينات» تحفظ فقط، دون فهم، أو تحليل!

ولسنا هنا في معرض تقييم للمدرسين، والطلاب، والعملية التعليمية، لكن ما أود قوله باختصار: إن الأمة التي تُهمل صُنَّاع عقول أبنائها ـ أعني المعلمين ـ لن تُكتب لها نهضة، ولن تنطلق إلى الأمام، بل إلى الخلف!

فاتح شهية

في مارس 2015، أكدت الأمين العام للمجلس القومي للطفولة والأمومة، الدكتورة عزة العشماوي، أن خط نجدة الطفل المجاني رصد أن نسبة البلاغات عن العنف المدرسي كانت في المرحلة الابتدائية بنسبة 67 ٪ من إجمالي بلاغات العنف المدرسي الواردة على الخط، وجاءت المرحلة الإعدادية في المرتبة الثانية بنسبة 24 ٪، ثم التعليم الثانوي بنسبة 7 ٪، وأخيرًا في رياض الأطفال بنسبة 3 ٪من إجمالي البلاغات.)

(2) | مقدمة لا بد منها

«من رُبّي على التسليم بغير عقلٍ، والعمل ـ ولو صالحًا ـ بغير فقهٍ، فهو غير مؤمن. فليس القصدُ من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقي عقله، وترتقي نفسه بالعلم، فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته».

توقيع الإمام المجدد «محمد عبده».

****

بعد نحو سبع سنوات من العمل في بلاط صاحبة الجلالة، وفي بداية الألفية الجديدة، كانت المرة الأولى التي أصطدم فيها بواقعٍ كثيرًا ما كنتُ أخشاه. بل وكذبتُ عيني، وعقلي في أكثر من موقفٍ؛ لأحتفظ بداخلي على ما تبقى من آمالٍ عريضات، وأحلام بريئات كانت وما زالت تداعبني منذ اشتغالي بمهنة البحث عن

المتاعب.

في العام 2001 كنت أعمل في جريدة «حزبية»، ناطقة بلسان حال حزبٍ يتخذ من «العدالة الاجتماعية» شعارًا له، إلا أنها ـ في الواقع ـ كانت بعيدة كل البعد عن مبادئ الحزب وأهدافه. إذ كان رئيس مجلس إدارتها يمارس كل فنون «الابتزاز»، و«الرشوة»، و«التزوير»، و«القوادة»، والسطوة على خلق الله، ابتداءً من المحررين الذين يعملون معه، مرورًا برجال الأعمال، وانتهاءً ببعض الوزراء، من بينهم وزير سابق للداخلية؛ بدعوى أنه كان أحد المقربين من بؤرة السلطة، وأحد «المسنودين» من بعض «الكبار» الذين يملكون اتخاذ القرار!

وإلى جانب العمل في الجريدة الحزبية، كنت أعمل في صحيفة «خاصة»؛ جريدة من تلك الجرائد التي صار الحصول على ترخيصها سهل المنال، عقب فتح باب «التراخيص الأجنبية»، سواء من قبرص أو لندن. ولم يكن صاحب هذه الجريدة التي تحمل اسمًا عالميًا بعيدًا عن مواطن الشبهات، بل كان هو نفسه «شُبهة»، وتورط في أعمال نصب، واستغلال نفوذ، والحصول على أموالٍ من بعض المواطنين مقابل تعيينهم في وظائف بإحدى الشركات التابعة لوزارة البترول، أو الكهرباء، أو الأوقاف... إلخ.

وعلى الرغم من أن هذه الصحف أحدثت انتعاشًا في الوسط الصحفي، خاصة الصحافة الإقليمية، وفتحت أبواب الأمل أمام كثير من الباحثين عن فرصة عمل في مجال الصحافة، إلا أن سلبياتها، كانت أكثر من إيجابياتها، ومساوئها أكثر من محاسنها.

وللأسف هذا «الانفلات» في الحصول على رخصة «جورنان» ـ كما كان ينطقه أحدهم ـ فتح الباب لكل مَنْ هبَّ ودبَّ ليصبح «مالك صحيفة»، شأنه شأن « يعقوب صروف، وفارس نمر، وشاهين مكاريوس»، الذين أنشأوا جريدة المقطم، أو مثل «علي ومصطفى أمين»، اللذين أسسا جريدة أخبار اليوم، قبل ثورة يوليو 1952؛ لمجرد أن «الوارد الجديد» يمتلك بضعة آلاف من الجنيهات، دون أن يسأله أحد عن مصدر هذه الأموال، ولا عن تعليمه، أو تخصصه، أو موهبته، أو قدراته التي تؤهله لإدارة الصحيفة وطاقم المحررين الذي سيعملون تحت إدارته.

باختصار.. كانت تجربة سيئة بامتياز. تعرفت فيها على أنماط من البشر دخلاء على المهنة. لا علاقة لهم بأبجديات العمل الصحفي. ولا يعرفون الفارق بين الفنون الصحفية التي تنحصر ـ عندهم ـ في قالبين اثنين فقط؛ «الخبر» و«المقال».. التحقيق مقال، والتقرير مقال، والتحليل الإخباري مقال، والبروفايل مقال، والبروتريه مقال.. إلخ.

كانت هذه الفترة، وما بعدها بسنوات قليلة، من أكثر الفترات التي شهدت خروجًا على المهنة، وسقط فيها أشخاص كثيرون أساءوا إلى جموع الصحفيين الشرفاء، بعد أن طاردتهم الفضائح، والقضايا، والأحكام الجنائية، وسوء السمعة، لدرجة أنهم كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر بعد أن تفوح رائحة نصبهم، أو يستشعرون الخطر من ضحاياهم.

وربما لن يُصدق القارئ العزيز أن مالك إحدى الصحف كان «مبيض محارة»، وآخر «فرارجي»، وثالث «نجار مسلح»، ورابع «جزار». وجميعهم كانوا يخدعون ضحاياهم بالصور التي يعلقونها في مكاتبهم وهم بصحبة وزراء، وأعضاء مجلسي الشعب والشورى، ومحافظين وكبار المسؤولين في الدولة!

ومع خالص احترامي وتقديري لأرباب هذه المهن الشريفة، والكريمة، إلا أن الشاهد هنا أن هؤلاء الأشخاص كانوا ـ بالكاد ـ يفكون الخط، وعلى الرغم من ذلك يتحكمون في مصاير الصحفيين، أو المتدربين من خريجي كليات الإعلام، الذين شاء قدرهم أن يخوضوا أولى تجاربهم مع هذه النماذج التي كانت تتباهي بأنها هي وهيكل «راس براس»!

في هذه الأثناء، كرهتُ العمل الصحفي، وفكرتُ في البحث عن وظيفة أخرى أكثر استقرارًا، وبعيدة عن مواطن الشبهات،

خاصة بعد أن فقد لقب «الصحفي» بريقه وهيبته، وصار ـ في أحيان كثيرة مرتبطًا بـ«النصب» أو «الابتزاز».

من هنا خطرت على بالي فكرة «التدريس»، وأشتغل بالشهادة التي حصلت عليها، «لغة عربية وعلوم إسلامية ـ دار العلوم»؛ لأبتعد ـ ولو قليلًا ـ عن «وجع الدماغ»!

خلي بالك

في السابع من أكتوبر 2016، أصدرت وزارة التربية والتعليم إحصائية ذكرت فيها أن «أعداد الطلاب المتسربين في المرحلة الإعدادية وصلت إلى 159 ألف و540 طالبًا، منها 77 ألف و412 طالبة، و82 ألف و128 تلميذًا».

(3) | قِلِبِتْ بجد

في أواخر صيف العام 2001، وتحديدًا في منتصف شهر سبتمبر، اتخذتُ قراري؛ خطوة للخلف من الصحافة، وخطوة للأمام نحو التدريس.

قرأت إعلانًا في جريدة الأهرام: «مطلوب مدرسين لغة عربية للعمل بمدرسة خاصة. يشترط عدم التدخين، وحسن المظهر، وخبرة لا تقل عن خمس سنوات. يرجى الاتصال على تليفون رقم ..... لتحديد موعد المقابلة وتقديم الأوراق المطلوبة».

حدّثتُ نفسي ساخرًا: الحمد لله، كل الشروط تنطبق عليَّ. على الرغم من أنني لستُ حسن المظهر ـ وإن كان القرد في عين أمه غزال ـ كما أنني ليس لديَّ أي خبرة بالتدريس. إضافة إلى أنني كنتُ من «الإخوان المدخنين» بشراهة.

«باظت أول شغلانة يا أبو الأيامن. لِفْ وارجع تاني. ملكش

في الطيب نصيب». كلمات رددتها على مسامعي مرة ومرات، قبل أن أقرر خوض التجربة وليكن ما يكون.

كنتُ أقيم في حي شبرا الخيمة مع بعض الأصدقاء، وكانت المدرسة المذكورة ـ كما عرفتُ فيما بعد ـ لا تبعد عن مقر إقامتي سوى بضعة كيلو مترات.

لم يكن يتبقى على الدراسة سوى بضعة أيام. حزمتُ أمري. اتصلت برقم التليفون الموجود في الإعلان فرد عليَّ شخص وكأنه ينتظر المدد من السماء. رحَّبَ بي وكأنه يعرفني، ودعاني لمقابلة عاجلة؛ تمهيدًا لاستلام العمل. ثم أعطاني العنوان، مُنهيًا المكالمة: «مستنيك بكرة الساعة عشرة الصبح».

لم يترك لي فرصة للتراجع. لم يسألني عن مؤهلي، ولا عن خبرتي في التدريس، ولا إن كنتُ من المدخنين أم لا.

أقنعتُ نفسي بأن كل هذه الأمور سوف تحددها مقابلة الغد. فالمدرسة اسمها كبير، ولها باع في المجال «الفندقي»، وإعلاناتها تغطي الصحف والتليفزيون. حاجة كده باسم الله ما شاء الله. وطبعًا من رابع المستحيلات أن يقبلوا أمثالي من المدخنين وعديمي الخبرة. هذا إن تساهلوا معي بشأن شرط «حسن المظهر»!

ما إن أغلقت الخط مع الطرف الآخر حتى انتابتني قشعريرة سَرتْ في أوصالي. اضطرب تفكيري. لم أعد أدري ماذا أفعل.

وكيف سيكون حالي في مقابلة الغد. وما العمل إذا ما قرروا اختباري، وأنا بعيد كل البعد عن المناهج الدراسية. ماذا لو سألوني في البيان، وتاريخ الأدب، والمدارس الشعرية؟ بل ماذا لو سألوني في القواعد النحوية، وأنا لم أعد أتذكر منها إلا ما يعينني على الكتابة الصحفية؟ أسئلة كثيرة تكاثرت في رأسي، ولم أستطع الإجابة على واحد منها.

كان أمامي أقل من عشرين ساعة على موعد المقابلة. اعتزمتُ الذهاب إلى إحدى المكتبات لأبتاع كتبًا خارجية لألقي نظرة على المناهج المراد تدريسها، لكنني لم أفعل. استقر تفكيري على الاتصال بأحد زملاء الدراسة الذين يمارسون التدريس، وسألته عن المطلوب، وطبيعة مثل هذه المقابلات.

استغرب صديقي من اتصالي. أعتقد أنني أمزح معه، خاصة أنني رفضتُ التعيين في بداية تخرجي. لكن أمام إلحاحي وجديتي أخبرني أن الأمر «صعب»، وأخذ يُعددُ لي هذه الصعوبات، حتى قاطعته قائلًا: هو أنا رايح أدرس في كامبريدج؟ وأكملتُ حديثي ساخرًا: أنت ناسي إني كنتُ بذاكرلك وأغششك في الامتحانات؟ فضحكنا على الأيام الخوالي، وكدتُ أنسى كل شيء يخص التدريس، والقلق من المقابلة.

«تِبات نار تِصبح رماد». تذكرت هذا المأثور الشعبي، الذي

كانت تردده أمي ـ رحمها الله ـ عندما يعجز عقلها عن الوصول إلى حلٍ لمشكلةٍ تواجهها؛ منتظرة أن يأتي الله بالفرج من عنده. فقررتُ الذهاب إلى مرقدي، وعدم إرهاق نفسي بالتفكير فيما ستؤول إليه نتيجة المقابلة، مرددًا قول الناظم:

دع المقاديرَ تجري في أعَنّتها
ولا تبيتنّ إلا خاليَ البالِ
ما بين غَمضةِ عَين وانتباهتها
يغيّر الله من حالٍ إلى حالِ

وقبل أن أضع رأسي على الوسادة، قبيل الفجر بلحظات، لاح أمام ناظري طيف الشيخ حسني في فيلم «الكيت كات»، وهو يرثي بائع الفول قائلًا: «هيييه الله يرحمك يا عم مجاهد». فابتسمتُ، وأخذتُ أردد ما قاله «الطُّغْرائي»:

لا تسهرن إذا ما الرزق ضاق ونَمْ
في ظل عيش رقيق ناعم البالِ
فبين غفوة عين وانتباهتها
يقلّب الدهر من حال إلى حالِ

كلام خطير

وفقًا للإحصائية التي أصدرتها وزارة التربية والتعليم في

أكتوبر 2016، فإن محافظة أسيوط تصدرت النسبة الأكبر بين أعداد المتسربين، بنسبة ٪8.70، تلتها مطروح بـ٪7.69، والأقصربـ5.79، والمنوفية ٪5.7، والبحيرة ٪5.45، وسوهاج ٪5.28، والإسكندرية ٪4.63، والسويس ٪4.5، والإسماعيلية ٪4.2، والجيزة ٪3.49، والقاهرة ٪2.68، والوادي الجديد57.٪.

(4) | بهتيم بهتيم بهتيييم!

المسافة بين المدرسة وحيث أقيم في شبرا الخيمة، لم تكن تتجاوز ـ بأي حال من الأحوال ـ ثلث ساعة سيرًا على الأقدام، أو خمس دقائق على الأكثر بالسيارة. وعلى الرغم من ذلك، كنتُ قد ضبطتُ «المنبه» على الساعة السابعة والنصف صباحًا؛ تحسبًا لأي طارئ. لكنني استيقظتُ قبل موعد التنبيه بأكثر من ساعة. كان القلق واصل هوايته السخيفة في اللعب معي، ولم تفلح معه الدعوات، وآيات الطمأنينة التي حاولت غرسها بداخلي أن تجعلني أستغرق في النوم.

ساعتان وبضع دقائق تلك المدة التي غفوت فيها، قبل أن أنهض من فراشي متثاقلًا كأحد «تنابلة السلطان» لا أدري ماذا أفعل.. أفتح الجريدة فلا تقف عيني على أي خبر فيها فأطويها وأنحيها جانبًا. ألتقطُ كتابًا وأعبث في صفحاته، ثم ـ مسرعًا ـ أعاود إغلاقه. أفتح

الراديو فلا تكاد أذني تركن إلى ما تقوله الأصوات المنبعثة من هذا الجهاز الأثير إلى نفسي. أفتح التليفزيون وأتجول أكثر بالريموت كنترول بين قنواته، دون الاستقرار على قناة بعينها. أتوجه إلى المطبخ لأعد لنفسي كوبًا من الشاي، ثم أترك الكوب لأتناول ثمرة فاكهة.. كنت كدجاجة تبحث عن مكان تضع فيها بيضها!

أكثر من ساعتين على هذي الحال. بعدها ألقيتُ بنفسي داخل البانيو واستغرقتُ نصف ساعة أو يزيد في الاستحمام، وحلاقة الذقن، وتصفيف الشعر. ثم ارتديتُ ملابس الخروج، مرددًا: «ما كان لك سيصل إليك، وما كان لغيرك فلن يصل إليك». توجهت لأستقل سيارة تقلني إلى المدرسة.

توقفتُ على جانب الطريق بانتظار ميكروباص. كانت عقارب الساعة قد تجاوزت العاشرة بعشر دقائق أخرى.. هذه عادة أخرى من عاداتي السيئة التي لم أفلح في الإقلاع عنها إلا مرات معدودات. حتى في أيام الامتحانات كنتُ أصل متأخرًا. هل كانت ثقة في نفسي، أو طريقة للهروب والتظاهر بالثقة والطمأنينة؟!

«موعد المقابلة فات يا حج أيمن.. يلا.. شغلانة مقطوع منها النصيب». حدثتُ نفسي وهممتُ بالعودة إلى من حيث أتيت. لكن صوتًا جهوريًا قطع عليَّ خط الرجعة: «بهتيم بهتيييم»، ففوجئت بنفسي محشورًا داخل صندوق حديدي يشبه السيارات

الآدمية، ويحيط به الصدأ من كل جانب.. لا حول لي ولا قوة.

هذا اليوم أتذكره جيدًا.. ثلاثة أيام متبقيات على بدء الدراسة.. أولياء الأمور يأخذون أولادهم إلى المدارس لدفع المصروفات واستلام الكتب و«الزي المدرسي». وما أدراك ما الزي المدرسي وأسعاره المبالغ فيها؟

برائحة الكتب وملازم الدروس الخصوصية كان يخرج عرق ركاب الميكروباص. وجوه مرسوم على معظمها الشقاء. أصحابها يقطعون من قوتهم ليحجزوا لأبنائهم مكانًا في مدرسة توفر لهم فرصة عمل بعد التخرج؛ مصدقين الإعلانات التي تطاردهم وتحاصرهم أينما ذهبوا.

لم يقطع شرودي سوى صرخة «التباع» ـ مساعد السائق الذي يتولى جمع الأجرة من الركاب: «يلا بسرعة.. اللي نازل محطة المدرسة يقرب ع الباب، ويجهز الأجرة فكة في إيده»!

لا أدري كيف دفعت الأجرة، ولا كيف نزلت من الباص.. كل ما أتذكره أنني نزلتُ بقوة الدفع الخلفي. ثوانٍ وكنتُ على الرصيف أعدل هيئتي، وأطمئن على أن ملابسي الداخلية ما زالت على جسدي أم انتشلتُ، قبل أن أترجل عدة أمتار لأصل إلى المدرسة.

«مدرستي جميلة نظيفة متطورة». استوقفتني تلك الجملة المكتوبة على سور المدرسة، قبل أن أصل إلى البوابة الرئيسية؛ بابها الحديدي

الكبير كان مغلقًا بجنزير، بينما الباب الصغير كان مفتوحًا «نص فتحة»، ويقف من خلفه حارس يسمى «عم سعيد»، كما كانوا ينادونه.. نوبي البشرة والطبع؛ طويل؛ له عينان جاحظتان وكأنهما تريدان الخروج من وجهه.. نحيف، يبدو من شدة نحافته كأنه «خيال مآتة»، كالذي يضعه الفلاحون في الحقل؛ لإخافة الطيور التي تهبط على الزرع لتلتقط الحبوب!

وعلى الرغم من «الوجه الخشب» الذي كان يُصدره «عم سعيد» للمدرسين والطلبة، إلا أنه كان يمتلك من مخزون الطيبة وسهولة التعامل ـ معي على الأقل ـ ما يكفي مئات البشر.. يكفي أن تقترب منه. يكفي أن «تُجر» معه كلام. يكفي أن تذكر أمامه أهل النوبة، وكيف نجحوا في تحويل أوجاعهم وآلامهم إلى آمال وأحلام.

كلام خطير بشرطة

إحصائية وزارة التربية والتعليم ذكرت أن نسب التسرب من المدارس في المرحلة الابتدائية لطلاب المديريات التعليمية الحكومية، وصلت إلى 45 ألف و214 طالبًا، منهم 27 ألف و88 من الذكور، و18 ألف و146 من الإناث. وتصدرت القليوبية النسبة الأكبر بإجمالى 88.٪، ومطروح بـ86.٪، والغربية 67.٪، والمنوفية 66.٪، وبني سويف 65.٪، وأسيوط 72.٪، والسويس 7.٪.

(5) | لقاء مع «أبو الغضب»

عاوز مين؟

الأستاذ (سيد. ع. أ).

بخصوص إيه؟

فيه معاد معاه؟

عشان وظيفة المدرس؟

كنتُ ـ وكما يقولون ـ «جبت آخري»، من أسئلة، واستفسارات «عم سعيد» التي لا تنتهي، فأجبته مغتاظًا: أيوه يا سيدي عشان الوظيفة الزفت؟

هنا دخل «عم سعيد» في موجة ضحك متقطعة، قبل أن يوجه حديثه لي: أنت من أولها هتتزربن كده. أومال لما تبدأ الشغل هتعمل إيه؟

لم يترك لي الرجل وقتًا للتفكير في كلامه، فعقب بلهجة حانية:

الأستاذ سيد في تاني أوضة شمال بعد ما تعدي الطرقة.

عقارب الساعة كانت تشير إلى العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة. لم يكن معي أي أوراق تتطلبها الوظيفة، ولا حتى صورة من شهادة التخرج.. ما هذا العبث؟ وهل وصل الاستهتار إلى هذه الدرجة؟!

توتري زاد. صوت دقات قلبي يسيطر على الفضاء.. خطوات ثقيلة قطعتها من البوابة حتى مكتب الأستاذ سيد، مخترقًا «الحوش» المدرسي، الذي يقف فيه بعض المدرسين والمدرسات يتجاذبون أطراف الحديث.. فسألتهم: هو مكتب الأستاذ سيد فين؟

تكفل أحدهم بالإجابة عن سؤالي؛ ودلني على وجهتي.

أستاذ سيد؟

أيوه.

صباح الخير؟

خير؟ عاوز إيه؟

أنا جاي عشان وظيفة مدرس العربي.

آه.. طيب.. هات الملف بتاعك وهنبقى نتصل بيك.

للوهلة الأولى تظن أن «أبو السيد» ـ كما كنتُ أناديه بعد ذلك ـ لا علاقة له بكثير من الأمور الحياتية التي نمارسها. وجهه ـ في معظم الأوقات ـ كان يذكرني بأتوبيس 913 المتهالك، المتكدس دومًا، والذي يبدأ خط سيره من ميدان المؤسسة في شبرا الخيمة،

وينتهي عند محطة أبو الهول. لم أضبطه يضحك ملء شدقيه ولو لمرة واحدة. أقصى ما كان يفعله «ابتسامة» بنصف شفاه، تكاد تسمح برؤية أسنانه الأمامية.. يبدو عابسًا، غاضبًا طوال الوقت، لدرجة أنني اخترتُ له اسمًا حركيًا، «أبو الغضب»!

مش معايا ملف.

نعم. وسيادتك جاي ليه؟

عشان أشوف إيه المطلوب.

السي في، وشهادة التخرج، وشهادة الخبرة، وأربع صور شخصية 4 في 6.. وبكرة تجهز الحاجات دي وتجيبهالي.

بس بكرة مش هينفع. وبعدين أنا مش معايا شهادة خبرة!

إزاي يعني؟ أنت جاي تهرج؟!

لا والله أنا جاي أدرِّس!

نطقتُ الجملة الأخيرة، مستلهمًا إياها من مشهد عزاء الفنان الفخراني في فيلم الكيف؛ محاولًا تخفيف حدة المقابلة، وإضفاء أجواء مرحة عليها. إلا أنه لم يكن «ابن نكتة» ـ كما نقول ـ ويبدو أنه لم يشاهد الفيلم، ولا يعرف معنى «الإفيه».. فباغتني قائلًا:

أنت متخرج سنة كام؟

1994.

وتقديرك إيه؟

جيد.

وطول الفترة دي كنت شغال فين؟

في الصحافة.

فين؟!

بقولك في الصحافة.

صحفي يعني؟

أيوه.

أنت هتهرج تاني؟

لا والله بتكلم جد. أنا صحفي. ودا كارنيه الشغل كمان.

أخرجتُ له عدة كارنيهات خاصة بالجرائد التي عملتُ فيها عقب تخرجي في كلية دار العلوم، فارتسمت على وجهه علامات الدهشة، ولانت قسمات وجهه قليلًا، وأشار إليَّ بالجلوس على كرسي موضوع أمامه، قبل أن يستكمل توجيه أسئلته لي:

طب وسيبت الصحافة ليه؟ وليه عاوز تشتغل مدرس؟ دا فيه ناس كتير تتمنى تشتغل شغلتك.

أنا ما سيبتش الصحافة. كل ما هنالك باخد هدنة.

يعني إيه؟

يعني ممكن أشتغل في التدريس وفي الصحافة في نفس الوقت.

إزاي؟

دا أمر يطول شرحه.

طب يعني لو طلبت منك خدمة تعملهالي؟

تحت أمرك لو كانت في مقدرتي.

أنا عاوز أنزل صور ولادي في الجرنال. ينفع؟

غالي والطلب رخيص. هات الصور وبكرة إن شاء الله أنزلهالك.

مش معايا دلوقت. لو كده أجيبها معايا بكرة وأديهالك.

بكرة؟ وإيه إللي هيجيبني بكرة؟

مش أنت هتشتغل معانا؟

لسه مقررتش.

قلتها متبسمًا، فرد عليَّ بربع ابتسامة. وزاد عليها: إن شاء الله هتكون معانا، وبالنسبة لشهادة الخبرة ولا يهمك.. فأخرجتُ سيجارة من علبة من النوع الأجنبي، وعزمتُ عليه، فالتمعت عيناه، قبل أن يقول: وكمان بتدخن؟ يعني لا شهادة خبرة، وبتدخن؟ دا أنت مصيبة وبلوة من بلاوي الزمن:

شكلك هتتعبني.

من الناحية دي اطمن على الآخر، وإن شاء الله أكون عند حسن ظنك.. وابتسمتُ وأنا أقول له: بكرة أجيلك الساعة كام؟

حداشر الصبح. كويس؟

على خيرة الله. طب وبالنسبة للعقد؟

مفيش عندنا عقود، هتشتغل معانا بالحصة.

يعني إيه بالحصة؟

هتفهم كل حاجة بعدين. وطلب مني رقم تليفوني، فأعطيتُ له رقم هاتفي المحمول.

انصرفت من عند الأستاذ سيد، وعُدتُ إلى حيث أقيم، مُحملًا بتساؤلات عدة؛ هل كان الرجل جادًا في عرضه؟ وماذا عن تلك الاختبارات التي كنتُ أسمع عنها؟ وهل كان كريمًا مع المتقدمين الآخرين مثلما كان كريمًا معي؟ وماذا أفعل في الغد؟ وكيف سأشرح المناهج إن كان لي نصيب في التدريس؟

لم أجد لكل هذه التساؤلات إجابة شافية سوى الحديث القدسي: «ما كان لك سيأتيك على ضعفك، وما ليس لك لن تناله بقوتك. وعزتي وجلالي لأرزقن من لا حيلة له حتى يتحير أصحاب الحيل».

وفي اليوم التالي ذهبت إلى المدرسة بعد الموعد المتفق عليه بأكثر من نصف ساعة. (ربنا ما يقطع لي عادة).. فاستقبلني «أبو السيد» بنظرة عتاب، قائلًا: اتأخرت ليه؟ مش كنا متفقين على حداشر؟

طب إيه يعني؟ أرجع ولا إيه؟

لا ترجع ولا يحزنون. تعالَ معايا أعرفك بالمدرس الأول وتستلم الجدول بتاعك.

جدول إيه؟

يعني هيكون جدول الضرب؟ جدول الحصص يا سيدي.. أنا اتكلمت مع الأستاذ «أبو الفضل» ووصيته عليك.

«أبو الفضل» مين؟

دا المدرس الأول بتاع العربي. وهو إللي هيكون المسؤول المباشر عنك، وهو إللي هيقيم أداءك ومستواك، وانتظامك، وكل شيء من خلال التقارير إللي هيقدمها للإدارة.

بعدها أخذني من يدي، وصعدنا إلى الدور الأول حيث حجرة المدرسين، وعرفني على الأستاذ «أبو الفضل»، قبل أن يستأذن منه في انصرافي معه لأمر مهم، مثلما أخبره. وأثناء نزولنا على السلم أخرج من حافظة نقوده صورتين لطفليه «ولد وبنت»، وطلب مني أن أنشر لهما تهنئة في «أي جريدة». وقد كان.

كنا يوم خميس، أي قبل بدء الدراسة بيوم واحد. وقبل مغادرة المدرسة، شدد عليّ «أبو السيد» بالحضور في الساعة السابعة إلا الربع صباحًا، أي قبل موعد الطابور؛ لأتعرف على بقية الزملاء، وأماكن فصولي.. فودعته بابتسامة على أمل أن أحقق له ما أراد.

وزارة التسرب

في آخر تقرير لجهاز التعبئة العامة والإحصاء، والصادر في 7 أكتوبر 2016، ذكر أن نسبة التسرب في المرحلة الابتدائية بلغت

٪0.6، ونسبة التسرب في الإعدادي ٪4.5، في حين بلغ معدل الانتقال من المرحلة الابتدائية إلى الإعدادية ٪95.1.

وذكر الجهاز في تقرير أصدره مطلع 2016، أن معدل الأمية في مصر ٪29.7، من واقع تعدادات السكان «للأفراد من 10 سنوات فأكثر»، وفقًا لتعداد 2006، موضحًا أن معدل الأمية في الدول العربية ٪27.

(6) | يا فتاح يا عليم

حياتي كانت كما الصعاليك؛ أستيقظ بعد صلاة الظهر؛ لأبدأ يومي، وأنام بعد أن أطمئن إلى أن «خلق الله» استيقظوا وذهبوا إلى أشغالهم!.. تلك العادة «السيئة» لازمتني طويلًا؛ أثناء دراستي الجامعية، وسنوات عملي الأولى، قبل أن أتخلص منها مؤخرًا.

لكي أذهب إلى المدرسة في الموعد الذي حدده لي «أبو السيد»، كان عليَّ أن أستيقظ طوال الليل، وحتى الصباح؛ خشية أن تداهمني إغفاءة، أو يأخذني النوم ولا أشهد متعة اليوم الأول في الدراسة. وعلى الرغم من التدابير التي اتخذتها، وصلت متأخرًا؛ بعد انتهاء طابور الصباح، ودخول معظم الطلاب الجدد إلى فصولهم.

كنتُ ممسكًا بـ«أجندة مكتب»، وليس «دفتر تحضير دروس». أتقدم خطوة وأتراجع خطوات. قلبي يرتجف. عقلي شارد، أفكر ماذا أفعل؟

على باب المدرسة، لمحتُ الأستاذ سيد، وإلى جواره يقف شخص قصير القامة، نحيف، أشيب، يرتدي نظارة طبية تغطي معظم وجه، ممسك بمسبحة، وقطع عدة خطوات نحوي، صائحًا: «خِفْ نفسك شوية يا أستاذ».

«يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم. ابتدينا النكد. هو شكل اليوم مش هيعدي على خير. أنا العفاريت الزرقا بتتنطط في وشي. يا عم ابعد عن وشي السعادي». أردد الكلمات بداخلي، والشرر يتطاير من عيني، لا يعترضه سوى النظارة التي تمنع عني ضوء الشمس. كان الغيظ يتملكني من الرجل القصير الذي يشير إليَّ بيده، وبلهجة آمرة يستحثني على إسراع الخطوات؛ حتى لا أتأخر على الطلاب الذين دخلوا الفصول، منذ بضع دقائق.

لم أكن أعرف مَنْ يكون هذا الرجل. لكن يبدو من تحلق بعض المدرسين حوله أنه «حاجة كبيرة» في المدرسة. ممكن يكون المشرف العام. أو جايز يكون وكيل المدرسة. لكن أن يكون هو المدير العام ـ كما تعرفت إليه فيما بعد ـ فتلك مفاجأة لم أكن أتوقعها على الإطلاق. فالصورة التي رسمتها للمدير في مخيلتي، تختلف تمامًا عن الواقع.

اللهجة التي تحدث بها مدير المدرسة، الأستاذ «فاروق. أ. أ» ـ كما عرفت فيما بعد ـ لم تعجبني، ولم تفلح نبرة صوته «الساخرة» التي تستحثني على الإسراع في الاستجابة له. بل على العكس تمامًا؛ تلكأت

أكثر، لدرجة أنه هو الذي اقترب مني، ووجه كلامه إليَّ: «هو البيه معانا في المدرسة ولا عابر سبيل»؟!

كان الأستاذ «فاروق» مديرًا ناجحًا، مقارنة بنظرائه في تلك الفترة، إلا أن طريقته اللاذعة التي كان يتحدث بها مع الطلبة أو المدرسين، لم تكن تروق لي؛ خاصة وأنا أمتلك من السخرية ما يمكن أن يفل سخريته.. لذلك رددت عليه قائلًا: «هو حضرتك حسن الهلالي؟!»، في إشارة إلى فيلمي «أمير الانتقام»، أو «أمير الدهاء» لأنور وجدي وفريد شوقي.. ويبدو أن طريقتي استفزته، لدرجة أنه نادى على الأستاذ «سيد» وأمره بإنهاء علاقتي ـ التي لم تبدأ أصلًا ـ بالمدرسة، فرددت عليه: «بركة يا جامع»!

لمحت الحيرة في نظرات «أبو السيد». لم أكن سلمتُ أي أوراق تخصني لإدارة المدرسة سوى «صورة بطاقتي الشخصية». وعلى الرغم من ذلك طلب مني الأستاذ «سيد» بالسير معه لأخذ كل الأوراق التي تخصني. وخلال توجهنا إلى مكتبه نظر إليَّ بطرف عينه قائلًا: مكنتش عارف تلايمها شوية.. متعرفش تقول طيب ونعم وحاضر.. ومتعرفش تمد خطوتك شوية.

هو مين ده أصلًا؟

دا مدير المدرسة يا سيدي.

دا مدير ولا تقاوي مدير؟

بكرة تشوف.

هو أنا هستنى لغاية بكرة.. أنا ماشي دلوقت.. أنا مليش في وجع الدماغ ده.. أنا سايب أضعاف أضعاف المرتب إللي هاخده هنا، وجاي عشان أريح دماغي.. وبعدين طريقته مستفزة جدًا.

بس أنت غلطت بردو.

أيوه.. أنا رديت عليه بنفس طريقته.. وعمومًا حصل خير.

«خير إن شاء الله». قالها وطلب مني التزام الهدوء تمامًا، مع وعد بأنه سوف يتوسط لدى مدير المدرسة، قبل أن ينادي على الأستاذ «أبو الفضل»، مدرس أول اللغة العربية؛ طالبًا منه تسليمي جدول الحصص، وتعريفي بفصولي.. ولم ينسَ أن يقول له: خلي بالك منه، ومش هوصيك عليه.. هو لسانه طويل، بس طيب.

اصطحبني الأستاذ «أبو الفضل» إلى حجرة المدرسين، وخلال سيرنا سألني جادًا:

هو أنت صحيح هتدرس عربي؟

إن شاء الله.

طب أنت خريج إيه؟

ليسانس دار العلوم.

دار العلوم؟

أيوه، دار العلوم، وبتقدير جيد كمان.. هو شكلي مش باين عليه

ولا إيه؟

لأ مش باين عليك خالص.. لا شكلك ولا لبسك كمان.

مش بالشكل يا مولانا.

عندك حق يا بني.. مش بالشكل.

كانت هيئتي وطريقتي في ارتداء الملابس لا علاقة لها ـ من قريب أو من بعيد ـ بالهيئة التي انطبعت في أذهان كثير من الناس عن مدرس اللغة العربية، و«الدهولة» التي يكون عليها. بل إن بعضهم بات يربط بين مدرس العربي والأستاذ «حمام» في فيلم «غزل البنات»، لنجيب الريحاني وليلى مراد.

كنت أنتعل «كوتش رياضي» لماركة عالمية معروفة. وبناطيل جينز، وقمصان مفتوحة الأزرار تحتها تيشرت تتماشى ألوانه مع لون القميص، إضافة إلى قصة شعر على الموضة، و«لحية فهدية»، نسبة إلى لحية العاهل السعودي الراحل، فهد بن عبد العزيز. أو يمكن تسميتها «سكسوكة»، أو «دوجلاس» ـ كما يسميها بعض «الروشين»!

عندما أتأمل هيئتي ـ بعد ذلك ـ أنحاز إلى كل الذين رأوا أن «شكلي» لا علاقة له بتدريس اللغة العربية، والتربية الدينية.

دعاني الأستاذ «أبو الفضل» إلى الجلوس إلى جواره. وقال بابتسامة أبوية آسرة: هتاخد 4 فصول من أولى، 3 ولاد وفصل بنات. ثم أخرج ورقة مليئة بالمربعات، عرفت ـ فيما بعد ـ أنها جدول الحصص.

وأخذ يكتب في بعض مربعاتها: الحصة كذا، فصل كذا.. وانتبه إليَّ فجأة:

مالك مسهم كده ليه؟

أبدًا، مفيش حاجة.

مفيش إزاي يا ابني. دا إحنا من أول ما قعدنا وأنت نازل عليك سهم الله.

أقولك الصراحة!

وهو فيه أحسن منها؟ اتفضل يابني.

أنا أول مرة أدرس في حياتي. ومعرفش هدرس إزاي، وإيه المطلوب مني بالظبط. وبصراحة أكتر عاوز أمشي. أنا ركبي بتخبط في بعضها.

هنا أطلق الأستاذ «أبو الفضل» ضحكة «مجلجلة»، قبل أن يطمئنني: وإيه يعني أول مرة؟ متخفش، ومتشلش هم أي حاجة أبدًا.. التدريس مبقاش زي زمان.. ثم سألني بصوت خفيض: أنت أصلك منين؟ فأجبته من «المنوفية». فأطلق ضحكة عظيمة أشعرتني كأنني قلت «نكتة حراقة». لكنه لم يتركني أستغرق في حيرتي كثيرًا، فقال: تعرف إن المنوفية مذكورة في القرآن؟

استنكرت تساؤله، مؤكدًا له أنني أحفظ القرآن، وقرأته عشرات المرات ولم أقف على آية فيها ذكر كلمة «المنوفية». فأجابني، وعلى وجهه كل ملامح الجدية: ربنا بيقول إيه في سورة النور «لا شرقية

ولا غربية»، تبقى إيه؟ «منوفية طبعًا». قالها وانطلق مقهقهًا، فشاركته القهقهة. قبل أن يضيف: وكمان «المنايفة» مذكورين في القرآن.. فسألته: ودا بقى في أي سورة؟ فأجابني جادًا: ألم تقرأ قول الحق ـ تبارك وتعالى: «قل يا أيها الكافرون»؟!

بعدها لم أستطع السيطرة على نفسي من الضحك. قبل أن يطلب مني الأستاذ «أبو الفضل» الإدلاء برأيي في جدول الحصص، وهل هو ملائم لي أو بحاجة إلى تعديله. فأبديت موافقتي عليه، مع التحفظ على بعض الحصص الأولى في فصل البنات، والتي كانت تبدأ في السابعة والربع صباحًا، بعد طابور الصباح الخاص بالطالبات، بينما كان طابور الأولاد في الثامنة، على الرغم من أن الجنسين في مدرسة واحدة، لكنهما منفصلان عن بعضهما، ويفصل بينهما سور، ولكل منهما بوابة خاصة بالدخول والخروج منها.

استجاب المدرس الأول لمطلبي، وجعل جدول الحصص الخاص بي يبدأ من الحصة الثالثة. وهذا الأمر شيء عظيم بالنسبة لي، فعلى الأقل لن أستيقظ مبكرًا، ولن أحضر طابور الصباح، الذي لم أتذكر آخر مرة حضرته، واستمعت إلى الإذاعة المدرسية، التي كنت أحد أفرادها، وأديت تحية العلم.. ثم طلب مني الأستاذ أبو الفضل مرافقته في جولته؛ ليعرفني ببقية زملائي مدرسي المادة، ومدرسي المواد الأخرى، وليقدمني إلى الطلاب الجدد. وقد كان.

سِم بدن

يبدو أن حرص وزارة التعليم على منع تسريب الامتحانات، جعلها تغفل جانب «التربية». إذ جاءت أرقام المسح القومي عن التدخين والموادالمخدرة والكحوليات لعام 2016، صادمة للجميع، وتدل على أن هناك مشكلة في المدارس.

الأرقام تقول إن نسبة التدخين بلغت ٪12.8 بين الطلاب، وتعاطي المخدرات ٪7.7، وتعاطي الكحوليات ٪8.3.. «صلاة النبي أحسن»!

وكان من ضمن المدخنين: ٪20.8 ذكور و٪3.4 إناث، و٪28 منهم يدخنون السجائر، و21 يدخنون الشيشة، و٪50 شيشة وسجائر معا.. «أنا شربت حشيش يا سعاد»!!

(7) | «الأومباشي» محمد أفندي

سلمني الأستاذ «أبو الفضل» جدول الحصص، واصطحبني في جولة داخل المدرسة. ألفة ما جمعت بيننا. ومحبة أبوية جعلتني أتقرب إليه. بينما كان يجد في شخصي صورة ابنه، كما كان يجيب عن سر حبه لي، رغم عدم انتظامي في الجدول.. ما إن نسير خطوتين أو ثلاثًا إلا ونتوقف قليلًا؛ مرة للسلام على مدرس، وثانية للرد على استفسار طالب، وثالثة للاطمئنان على سير الدراسة داخل الفصول، ورابعة لمغازلة إحدى المدرسات اللائي يفعلن ما في وسعهن لجر شكل «مولانا» ـ كما أطلقتُ عليه فيما بعد.

الصرخات المتداخلة، والأصوات الصاخبة المنبعثة من داخل الفصول، لم تبشر بأي خير، وتوحي بأن طلاب هذه المدرسة سيكون لهم شأن كبير في أشياء كثيرة، ليس من بينها التعليم.

يا إلهي.. ماذا أفعل؟ وكيف يمكنني الاستمرار في هذا

«المروستان»، وأنا العاشق للهدوء، والكاره للضوضاء والصوت العالي؟ من سابع المستحيلات أن أتأقلم مع هذه الملوثات التعليمية.. إنها ليست مدرسة، بل سوق أو مولد شعبي.. هل ستكون نهايتي في هذا المكان؟.. حدثتُ نفسي، فقطع عليَّ «مولانا» تدفق الأسئلة: يلا ندخل الفصل ده.. ولم يترك لي فرصة للرد.

دخلنا الفصل. لم يكن فصلًا، بل كان شيئًا أشبه بخيمة السيرك. طلاب يتقافزون على المقاعد. آخرون يجرون خلف زملاء لهم. طالب يطبع قلمًا على قفا زميله، فيرد عليه زميله ببصقة تغرق وجهه.. صوت الواهن لـ«مولانا» ذاب في الصراخ العفي للمراهقين.. صراخ لم يقطعه سوى حضرة «الأومباشي» ـ الاسم الحركي الذي أطلقته على الأستاذ «محمد. ع. ا» المشرف على الدور الأول بنين. وكما عرفت فيما بعد أنه كان متطوعًا في القوات المسلحة، وخرج «معاش مبكر». واستقر به الحال في هذه الوظيفة منذ أربع سنوات.

مَنْ يَرَ وجه «محمد أفندي» يعتقد أن الرجل «طَمِعَ» في كل هموم ومشاكل الدنيا واستأثر بها لنفسه، أو تقاسمها مع «أبو السيد». لدرجة أنهما جعلاني أسأل نفسي: هل «التكشيرة» شرط أساسي للاستمرار في المدرسة؟

اقعد في الديسك بتاعك يا «تيت». ارجع ورا يا «تيت» يا ابن «التيت». إللي مش هيحترم نفسه «تيت تيت تيت».. كان «محمد

أفندي» يزعق حتى أوشكت عروقه على الهروب من رقبته.. وأخذ يلوح في الهواء بقطعة بلاستيكية شفافة طولها يقترب من المتر، وهي أقرب إلى «الكرباج»، أو عصا المارشال.. وكانت الضربة الواحدة منها كفيلة بأن يُطلق الطالب «صرخة النهاية».

خيم الهدوء على الفصل. أعطى «الأمير محمد أفندي» الإذن لـ«مولانا» بالبدء، ووقف في الطرقة، مطلًا برأسه من شباك الفصل، ليتدخل في الوقت المناسب، إذا ما تكرر الموقف.. فقدمني الأستاذ «أبو الفضل» إليهم، وحثهم على الاستفادة مني قدر الإمكان. وأخذ يعدد لهم مواهبي، ومميزاتي التي لم أكن أعرفها أنا شخصيًا عن نفسي. قبل أن يهم بالانصراف تاركًا إياي وجهًا لوجه مع الطلاب، ويراقبنا حضرة «الأومباشي» ـ اسم آخر أطلقته على الأستاذ «محمد. ع».

«إيه الورطة دي بقى؟ متفقناش على كده يا حج.. طب أقول للولاد إيه؟ وأشرح لهم إيه؟.. منك لله يا مولانا، كده برضو تدبسني التدبيسة دي.. لن أنسى لك هذا الموقف».. كنتُ كالذي يُخترف من أثر الحمى.. لكني استعدتُ وعيي سريعًا. وأخذتُ أتجول بين الطلاب بنظرات صامتة، دون أن أتفوه بكلمة واحدة. بينما كان حضرة «الأومباشي» يراقب الموقف من الشباك.

لحظات الصمت لم تطُل. فقد قطعتها عندما بدأ الطلاب يتململون، ويتهامسون فيما بينهم: هو أخرس ولا إيه؟ ماله كده عامل زي أبو

الهول.. حد يحركه يا جماعة ليكون اتكهرب أو اتجمد.. إلى جانب بعض مصطلحات «استظراف» المراهقين التي لا تخفى على أحد.

هنا قررتُ الكلام، وتقمصتُ دور محاضر التنمية البشرية، والخبير النفسي والاجتماعي، ووجهتُ حديثي «الأخوي» إليهم: إنتو دلوقت في ثانوي.. يعني رجالة.. والراجل بجد ميخليش أي حد مهما كان يهزأه، أو يهزأ أهله، زي ما الأستاذ محمد شتمكم حالًا.. عاجبكم الشتيمة إللي شتمهالكم؟ مفيش حد أحسن منك أو من أهلك عشان يشتمك.. ومش معقول يكون أبوك وأمك دافعين دم قلبهم عشان سيادتك تتعلم وييجي حد يهزأهم!

وتقمصت شخصية القائد العسكري في ميدان المعركة، وهو يُحمس جنوده: إللي يقبل على نفسه كده ميقاش راجل.. ميقاش عنده ذرة رجولة.. صح يا رجالة؟.. بصوت خفيض جاءت الإجابة: صح يا مستر.. فقلت مرتفعًا: أنا مش مستر.. أنا مدرس لغة عربية، يعني أستاذ.. وعاوز أسمع ردكم بأعلى صوت.. صح يا رجالة؟.. فارتجتْ المدرسة: صح يا أستاذ!

«الله ينور عليك يا أبو الأيامن يا سيطرة.. من أولها كده طويت العيال تحت جناحك.. بس خلي بالك من نظرة محمد أفندي.. الراجل عينه بتطق شرار، وشكله عاوز يطخك بالنار».. كنتُ أشجع نفسي، وأعطيها دفعة معنوية قبل الدخول في «الغمييق»!

كان المشرف ما زال واقفًا في الشباك، واستمع إلى النصيحة التي وجهتها للطلاب. لكني تجاهلته تمامًا. وأكملتُ حديثي إليهم: وعشان محدش يشتمك لازم تعمل إللي عليك.. تيجي في معادك، وتذاكر دروسك، وتحل الواجب بتاعك، وتحترم نفسك داخل الفصل، وساعتها لو أي مدرس كلمك ابقى بلغني وأنا أجيبلك حقك.. ثم طلبتُ من حضرة «الأومباشي» مغادرة الشباك، إيذانًا ببدء الشرح. لكن يبدو أن الصدمة أثرت عليه، فظل واقفًا في مكانه، فطلبتُ منه مجددًا مغادرة الشباك بلهجة آمرة؛ بعدها دوى تصفيق حاد في الفصل، وكأن الطلبة يكافئونني على صنيعي.

شكرتُ الطلاب، وانتهى اليوم الأول بالتعارف المتبادل بيني وبينهم، وتكرار نفس الكلام في كل فصل من فصولي الأربعة.. وكانتْ المفاجأة أن «مولانا» كان بانتظاري، وأثنى على تصرفي وأدائي العام في المجمل، وأخذ يبشرني بأن مستقبلًا عريضًا ينتظرني.. لكنه في نفس الوقت حذرني من مغبة الطريقة التي تعاملت بها مع «الأومباشي».. فطمأنته: لا تقلق يا مولانا.. كل شيء سيكون تحت السيطرة.. ثم سألته: هو تحضير الدروس بيبقى إزاي؟ فأجابني: بكرة هجيبلك دفتر قديم وابقى انقل منه براحتك.. فسلمتُ عليه، واستأذنته في الانصراف.

شكر الله سعيكم

الصادم في إحصائية المسح القومي عن التدخين والمواد المخدرة والكحوليات لعام 2016، أن ٪73 من الطلاب المدخنين يشترون السجائر بنفسهم، وأن ٪50.6 منهم يدخنون سجائر وشيشة بنكهات، و27.7 ٪ لايحتوي على نكهات.. وبلغت نسبة مشاهدة التدخين داخل المدارس «٪58»، وتضرر منها ٪48 من الطلاب. بينما أبلغ ٪15 من الطلاب عن زملائهم المدخنين.

وبخصوص المخدرات كانت النتائج كمايلي: ٪7.7 من الطلاب يتعاطون المخدرات، ويقسمون كالتالي:- ٪58 يتعاطون الحشيش، و٪28.5 من طلاب الثانوي البانجو و22.7 الترامادول، وهناك أنواع جديدة من المخدرات بدأت تغزو المدارس بشكل كبير.

(3) | الطريق إلى «أ، ب، ت...»

في اليوم التالي من بدء الدراسة، لم يكن لدي خطة واضحة للتدريس. الحيرة كانت تسيطر عليَّ. ماذا أفعل وسط جحافل المدرسين المتمرسين؟ ما الآلية التي سأعتمد عليها في الشرح؟ هل أسير على نهج أساتذتي العظام الذين كانوا يُقدمون التربية على التعليم، وشَرُفتُ بهم طوال دراستي في مرحلة ما قبل الجامعة، أو أبتكر طريقة جديدة؟

أسئلة عديدة تكاثرت في ذهني، دون الوصول إلى إجابات شافية. لكن ما هداني إليه عقلي أنه لا توجد طريقة أفضل من أخرى للتدريس، بل إن الطريقة المثلى يحددها المدرس، حسب المادة، وطبيعة الدرس، ونوعية الطلاب. فهناك بعض المواد تحتاج إلى وسائل تعليمية، بينما تحتاج أخرى إلى القصص والألعاب. بل إن دروس المادة الواحدة تختلف عن بعضها البعض. ومن الطلاب

مَنْ يستوعب بمجرد الاستماع، ومنهم مَنْ يحتاج إلى النظر، ومنهم مَنْ يحتاج إلى خوض التجربة، ومنهم مَنْ يحتاج إلى الزجر.

وما أنا مؤمن به أن التعلم عن طريق البحث، والاكتشاف، والابتكار، والعمل الجماعي، يحفز الدارس، ويرسخ المعلومة عن طريق تشغيل جميع الحواس لديه. فطرق التلقين، التي تسبب عقم التفكير، وشلل العقل، لم تعد مجدية؛ لأن الطلاب يستخدمون حاسة النظر والسمع فقط، وهي مع كثرة استخدامها تصيب الدارسين بالملل. فلو تمكن المعلمون من تشغيل جميع حواس طلابهم ليتفاعلوا مع الدرس؛ لترسخت المعلومة في ذاكرتهم، واستفادوا منها أيما استفادة.

هذا ما كتبته مرارًا في سلسلة تحقيقات، وتقارير، ومقالات عن كيفية النهوض بالعملية التعليمية، عندما كنت أمارس الصحافة. فهل أنجح في تطبيق ما ناديت به؟

دخلتُ أحد الفصول وفي رأسي أفكار كثيرة، لكني وجدت نفسي أسأل الطلاب: مين فيكم إللي حافظ «حروف الهجاء»؟.. ومن رد الفعل المرسوم على وجه الطلاب، شعرتُ أنني سألتُ جاهلًا عن نظرية أرشميدس، فكررتُ السؤال بصيغة أخرى: مين فيكم حافظ «ألف باء»؟ فرفع جميع الطلاب أيديهم. فتنفستُ الصعداء. ثم طلبت من طالب يجلس في الصف الأول أن يُسمعها،

فكانت النتيجة مخيبة للآمال!

ظننتُ أن الطالب أُصيب بفقدان مؤقت للذاكرة، فأحلتُ الأمر إلى مَنْ بجواره، فلم يكن أفضل حالًا من صاحبه. وتكرر السؤال، وكانت المحصلة أن ثلاثة أو أربعة على الأكثر من إجمالي 33 طالبًا هم الذين يحفظون حروف الهجاء، وحوالي خمسة أو ستة يحفظونها دون ترتيب. والباقي يا مولاي كما خلقتني!

يا لها من طامة كبرى! كيف وصل هؤلاء إلى المرحلة الثانوية وهم ـ كما نقول ـ «لا يعرفون الألف من كوز الدرة»؟ مَنْ ارتكب هذه الجريمة بحقهم وبحق المجتمع؟ وكيف يمكن الاعتماد على أمثال هؤلاء في المستقبل؟ وهل للخلاص من سبيل؟

اختبار «حروف الهجاء» تكرر في كل فصل أدخله. والنتيجة كما هي؛ «خيبة الأمل راكبة جمل». في كل فصل أربعة أو خمسة طلاب يمكن الاعتماد عليهم. وسبعة أو ثمانية «يجي منهم». والباقي «إيدك منه والقبر». لكن ـ وكما قال الزعيم خالد الذكر مصطفى كامل ـ «لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس». فقررتُ خوض التجربة حتى النهاية، فإما النجاح في مهمتي، أو إعلان الاستسلام ورفع الراية البيضاء.

بدأتُ مع الطلاب من حيث تجب البداية؛ من أول حروف الهجاء، إضافة إلى شرح الدروس المقررة. لكن هذه البداية لم ترق

لكثيرين، وألَّبتْ بعض الطلاب والمدرسين والمشرفين ضدي؛ بدعوى عدم التزامي بالمنهج المقرر.

وفي غمرة نشوتي بالتجربة الجديدة، محاولة السيطرة على الطلاب، كان هناك طالب يدعى «محمد. ع» يجلس في آخر مقعد؛ متوسط القامة، أسمر البشرة، مجعد الشعر، يبدو نائمًا على نفسه. يدفس رأسه بين ذراعيه ويرفعها ليطلق تعليقًا ساخرًا ليضحك الطلاب، ويخرجهم من جو الدرس. لفتُ نظره أكثر من مرة، إلا أنه تمادى في أسلوبه المقزز.

لم يكد الأسبوع الأول يمر إلا وبدأت بشائر تجربتي تلوح في الأفق؛ فأخيرًا الطلاب وجدوا «مدرسًا بحق وحقيق» ـ كما كانوا يقولون. مُعلمًا يتعامل معهم من منظور إنساني وتربوي، وليس من منظور درجات أعمال السنة، ومقدار ما يدفعه في الدروس الخصوصية، وهدايا المدرسين.

لكن ذات يوم كنتُ منهمكًا في الشرح، والطلاب كأن على رؤوسهم الطير. وفجأة رفع الطالب المشاغب رأسه من على ذراعيه، وأخذ يُطلق أصواتًا عالية. حذرته فسكتْ دقائق ثم عاود سيرته الأولى. حذرته مرة ثانية وحاولت احتوائه، فاستكان. وفي المرة الثالثة قلتُ له إن ما يفعله يتنافى مع طبيعة وجوده في المدرسة، فتطاول عليَّ بدعوى أنه في المدرسة بـ«فلوسه»، وله الحق أن

يتصرف كما يشاء!

لعنة الله على المدارس الخاصة، التي جعلت الطلاب يبيعون ويشترون في المدرسين، وللأسف، فإن إدارات المدارس الخاصة ينحازون دومًا للطالب ضد المدرس.

حاولتُ شرح الأمر للطالب المشاغب، إلا أنه تمادى في تطاوله. انفلتت أعصابي، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أكيل له اللكمات والأقلام. وبعد جهد جهيد تمكن مشرف الدور من إنقاذه من يدي. لكن ما إن أصبح الطالب بعيدًا عن متناول يدي، أخذ يهددني بأهله، وأنه سيقطعني إربًا.

واعتزمت إنهاء التجربة وعدم الحضور مجددًا إلى المدرسة. لكن «الأومباشي محمد» أخذ يهدئ من روعي، مختتمًا حديثه معي بقوله: «هو أنت لسه شوفت حاجة»!

في اليوم التالي لـ«العلقة»، جاء ولي أمر الطالب. جاء مثل ابنه لكن على أضخم بكثير. دخل الفصل بصحبة نجله ومشرف الدور. لا أنكر أن الرعب دب في أوصالي. فهيئة الرجل لم تكن تُنبئ بأي خير. لكني تظاهرت بعدم المبالاة، حفاظًا على صورتي أمام الطلاب.

استأذنتُ ولي الأمر في الحديث معه خارج الفصل. فاستجاب. وقتها فتح الله عليَّ من بركاته. واستطعتُ السيطرة على غضبه،

بل إنه تضامن معي ضد نجله عندما أوضحت له ما كان يفعله داخل الفصل، وأن ذلك لا يرضيه كولي أمر حريص على أن يكون ابنه «أحسن واحد في الدنيا». وكانت النتيجة أن أخذ نجله في يده، وعرفتُ بعدها أنه حوَّل له في مدرسة أخرى. هذه «العلقة الساخنة» كانت مفتاح الخير بالنسبة إليَّ في المدرسة. فقد أكسبتني شهرة عريضة؛ خاصة أن الطلاب كان يتداولون ما فعلته بزميلهم داخل الفصل. وأنني جعلتُ منه عبرة لمن يعتبر.

خمرة «دليفري»!

دراسة المسح القومي عن التدخين والمواد المخدرة والكحوليات في المدارس، كشفت عن تعاطي 8.3 من المبحوثين من طلاب الثانوي الكحوليات؛ منهم ٪13 ذكور و٪2 إناث.

الطريف أن وزيرة التضامن الاجتماعي، غادة والي، علقت على الدراسة بقولها: «مصر من الدول إللي يقدر يطلب فيها أي مواطن الخمرة دليفري، وإللي بيبيعها ميعرفش مين إللي طالبها؛ طفل ولاشاب»، وطالبت بتدخل جهاز حماية المستهلك لوقف مثل هذه الأمور.

(9) | عِش الدبابير

مع توالي الأيام أصبحت لي «شِلة»، تضم بعض المدرسين الجدد، أبرزهم «خالد. ش. ا»، مدرس لغة فرنسية، و«وليد. ع»، مدرس لغة إنجليزية، و«وليد. م»، مدرس صحة، إضافة إلى بعض المدرسات اللاتي لم يسبق لهن الزواج.

هذه «الشلة» لا أدري كيف تكونت، لكنها كانت حديث المدرسة فيما بعد، وكانت بمثابة «تهديد مباشر» للعرش الذي يتربع عليه مجموعة من المدرسين الذين كانوا يسيطرون على المدرسة، ويتحكمون في مصاير الطلاب أيضًا.

«الشلة القديمة» كانت مكونة من ستة مدرسين، يتزعمهم وكيل المدرسة «محسن. أ»، وكان خريج معهد خدمة اجتماعية، إلا أنه كان يجبر الطلاب على أخذ دروس خصوصية في مادة الرياضيات، بزعم أن في يده مستقبلهم، وهو الذي يستطيع إنجاح أي منهم حتى ولو لم

يكتب شيئًا في ورقة الإجابة.

وكان «شريف. أ. ا»، خريج بكالوريوس زراعة، إلا أنه يتولى تدريس مادة اللغة الإنجليزية. وكان «بيباصي» الطلاب لـ«محسن»، بينما كان الأخير يتولى «تظبيطه»!

بينما كان «محمد. س»، يسيطر على دروس اللغة الفرنسية، و«حسن. ا» يسيطر على «علم النفس»، و«حسن. م» للمواد التجارية، و«أحمد. ف» على اللغة العربية التي لم يكن لها «زبائن» كثيرة؛ لأن سيادة الوكيل يقول للطلاب إنها «ملهاش لازمة»، وأنهم «كده أو كده هينجحوا فيها»!

وما عرفته ـ فيما بعد ـ أن سر تعيين «محسن» ـ الذي كان في أوائل العقد الثالث ـ وكيلًا للمدرسة، ليس متعلقًا بكفاءته النادرة، ولا بخبراته التعليمية غير المسبوقة، بل لأن والدته كانت تتولى منصبًا في الحي، وأن أي مشكلة للمدرسة مع الحي كان يتولى هو حلها بواسطة والدته.

الأستاذ «محسن» كان يسير في المدرسة كديك شركسي، أو كطاووس مغرور منفوش الريش. والعصاة الطويلة المكسوة بالجلد التي يمسكها في يده توحي بأنك أمام أمين شرطة، على غرار الأمين «حاتم» في فيلم «هي فوضى»!

الأجيال السابقة من الطلاب كانوا يسلمون الراية لمن يأتي بعدهم.

ينسجون الأساطير حول الأستاذ محسن و«شِلته». ويروجون أنهم وراء نجاحهم، على الرغم من أنهم لم يكونوا يكتبون شيئًا في ورقة الإجابة. مَنْ يرد النجاح فعليه بمحسن وشلته. مَنْ يقع في أزمة في المدرسة، فالأستاذ محسن وشِلته يتكفلون بحلها «في مينت» ـ كما يقولون.. ومَنْ تواجهه مشكلة مع أهله فلابد من تدخل السيد الوكيل!

يومًا بعد يوم، بدأتُ أفهم طبيعة المدرسة، وكيف تسير الأمور فيها.. وعرفتُ أيضًا من ذوي الثقة والخبرة من المدرسين، وخاصة من المدرس الأول، الأستاذ أبو الفضل، أن الطلبة ينجحون لأن الإدارة التعليمية والوزارة «عاوزة كده»، والنتيجة في سنوات النقل لا تقل عن نتيجة انتخابات الحزب الوطني المنحل «99.99»!

معنى ذلك أن الأستاذ محسن والذين معه «يلعبون» في أدمغة الطلاب، ويوهمونهم بأن قواعد اللعبة كلها في أيديهم، وأنهم يتحكمون في نجاحهم ورسوبهم.. وهذا ما حاولت اللعب عليه أيضًا، ولكن لصالح الطلاب دون استغلالهم، أو ابتزازهم لا بأعمال السنة، ولا بالدروس الخصوصية. كله بما يرضي الله.

بدأتُ في «هز ثقة» الطلاب في محسن وشِلته. أوضحتُ لهم نجاحهم مرهون بمذاكرتهم، واجتهادهم. وأن محسن لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا. حتى وإن كان يملك ذلك في سنوات النقل، فهل يستطيع أن يفعلها في شهادة الدبلوم؟

ثم نصحتهم ـ كأخ أكبر ـ بأنهم وأهلهم أولى بالأموال التي ينفقونها في الدروس؛ خاصة وأن كثيرًا منهم أكدوا لي أنهم لا يفهمون شيئًا من درس «محسن»؛ لأنه يقرأ من الورقة، وكأن أحد المدرسين الآخرين هو مَنْ يكتب له هذه الدروس ليتقيأها في حصة الدرس التي لم تكن تزيد على ثلث الساعة.

الميزة التي كان يمنحها الأستاذ محسن وشِلته للطلبة المراهقين، أنهم كانوا يسمحون لهم بـ«التدخين» في وجودهم، وينادونهم بأسمائهم دون ألقابهم. والأدهى من ذلك أنهم كانوا يتبادلون معهم السجائر «الحاف» أو «المغمسة». بل كانوا يتبادلون معهم الصور ومقاطع الفيديو «الأبيحة»!

ربما كانت هذه الأمور هي السر الخفي في تعلق كثير من الطلاب «المنفلتين» بمحسن وشِلته. فالأمر لا علاقة له بالتدريس، بل لا علاقة له بالنجاح أو الرسوب من قريب أو بعيد!

أي مدرس جديد كان يريد إعطاء دروس خصوصية، عليه أن يقدم فروض الولاء والطاعة للأستاذ محسن. ويقدم بعض التنازلات حتى يدخل «في حمايته». لكني كنتُ أول مَنْ كسر هذه القاعدة. فأنا ـ وكما كان يقول لي الأستاذ سيد ـ «مش باقي على حاجة». وأيضًا ـ بحكم عملي في الصحافة ـ لي علاقات كثيرة مع المسؤولين. وأستطيع بكل سهولة الوصول إلى وزير التربية والتعليم. وكان «أبو السيد» يروج

لذلك بين المدرسين. وهو ما أفادني كثيرًا، وأسبغ عليَّ حماية «عُليا».

ذات يوم، حاول أحد المدرسين من شِلة محسن الضغط على بعض الطلاب من فصولي؛ ليأخذ عند «الشلة» دروسًا خصوصية. لكني تصديتُ له، بل وهددته «على الملأ» إن لم يرجع عن ذلك فسوف أتقدم ضده بشكوى للمدير، وإن لم يأخذ المدير موقفًا، فسوف أتوجه إلى الإدارة، ثم الوزارة، وإلى رئيس الجمهورية إن تطلب الأمر.

كنتُ جادًا في تهديدي، فتراجع ساخطًا، وأبلغ «محسن» بما حدث، فاستوقفني الأخير أثناء خروجي من الفصل، ودعاني لتناول الشاي، وعرض عليَّ الدخول في «شِلته»، واقتسام «الغنيمة» معهم. لكني رفضتُ بأدب جم، بل وأخبرته بأنني ماضٍ في طريقي. وأن طلابي «خط أحمر»!

فيما بعد، توصلنا ـ محسن وشِلته وأنا ـ إلى ما يشبه الاتفاق «غير المكتوب»، خلاصته: «لكم دينكم ولي دين». بمعنى لكلٍ منا منطقة نفوذه، وليس مسموحًا له بالاقتراب من الطلاب إلا بالتي هي أحسن، ودون إجبار أو تلويح بـ«النجاح والسقوط». وقد كان!

نتيجة هذا الاتفاق كانت قد تسربت إلى الطلاب. وأكسبتني قوة، وزادت من شعبيتي؛ لدرجة أن طلابًا من فصول أخرى خاضعة لسيطرة «شِلة محسن» طلبوا مني إعطاءهم «درس خصوصي»، وبأي مبلغ أختاره!

معلمون «غير تربويين»

كشف تقرير إحصائي أعدته وزارة التربية والتعليم حول جملة أعداد المعلمين والطلاب على مستوى الجمهورية بمدارس التعليم الحكومي والخاص، عن العام الدراسى 2014، 2015 أن 168 ألفًا و567 معلمًا على مستوى الجمهورية «غيرتربويين»!

من بين هذا العدد 7333 بمرحلة رياض الأطفال و43 ألفًا و724 بالمرحلة الابتدائية، و4353 بالتعليم المجتمعي، و51 ألفًا و280 عضو هيئة تدريس بالمرحلة الإعدادية.

وأيضًا 26 ألفًا و165 معلمًا بالمرحلة الثانوية و2006 بالتعليم الفني الصناعي، و6679 مدرسًا غير تربوي بالتعليم الفني الزراعي، و14 ألفًا و858 معلم فني تجاري غير تربوي، بالإضافة إلى 968 معلمًا بمدارس التربية الخاصة غير تربوى، و1201 عضو هيئة تدريس لم يحصل على شهادة التربوي.

(10) | موقف مِحرج

كعادتي، استيقظتُ متأخرًا.. كانت الساعة تقترب من التاسعة والنصف صباحًا. اتخذتُ قرارًا بعدم الذهاب إلى المدرسة في هذا اليوم، لكني عدلتُ عنه.

على عجل أخذتُ حمّامًا دافئًا. وبسرعة ارتديتُ ملابسي «الكاجوال»، وانتعلتُ حذائي الرياضي، وخرجتُ إلى الشارع منتظرًا الميني باص. لحظات وكان صوت المنادي يزعق «بهتيم.. بهتيم.. بهتيييييم». ركبتُ في طريقي إلى المدرسة. كنتُ محظوظًا عندما وجدتُ مقاعد خاوية.

جلستُ إلى جوار شخص ستيني، يرتدي بذلة كاملة، ويُطوق عنقه بـ«كرافت»، ويبدو عليه الوقار. ألقيتُ عليه التحية فردها بأحسن منها، ثم سألني:

لو سمحت، هي مدرسة «.....» فاضل عليها كتير؟

لأ.. خمس دقايق بالكتير.. أنا نازل عندها، ابقى انزل معايا.

ساد الصمتُ بيننا لحظات، قبل أن أسأله:

هو رايح المدرسة ليه؟ أكيد حضرتك ولي أمر طالب وجاي تشتكي.. ما هي المدرسة «تيت»، والمدرسين «تيت تيت».. وباين عليك مش وش بهدلة.. ولو عاوز نصيحتي حوِّل لابنك في مدرسة تانية.

لم يعلق الجالس إلى جواري على كلامي، مكتفيًا بابتسامة عريضة تزيد وجهه نورًا.

«إللي نازل يجهز الأجرة في إيده». قالها مساعد السائق، فدفعتُ لي وللجالس إلى جواري، ونزلنا من الميني باص. وترجلنا إلى المدرسة. وتبادلنا المداعبات. كل ذلك دون أن يفصح لي عن هويته. وما إن وصلنا إلى البوابة حتى تركته، وصعدتُ إلى حجرة المدرسين.

كانت الحصة ـ التي من المفترض أن أتواجد فيها ـ أوشكتْ على الانتهاء، واستعانوا بمدرس آخر بدلًا مني. فنزلت إلى الكانتين لأحتسي كوبًا من الشاي. وفي أثناء سيري، استوقفني الرجل الذي كان جالسًا إلى جواري، وبصحبته أحد سعاة المدرسة، وبادرني قائلًا: لو سمحت، تعرف مدرس عربي؟

ظننته يريد مدرسًا يعطي أولاده درسًا خصوصيًا، فقلت له: أنا مدرس عربي ينفع؟

أنا بتكلم جد.

وأنا كمان بتكلم جد. ولا شكلي مينفعش؟ وأطلقت ضحكة قصيرة.

فقال ـ بلهجة جادة ـ : لأ شكلك مش مدرس عربي.

أومال مدرس إيه؟

أنت شكلك مدرس إنجليزي، أو رياضيات، أو ألعاب!

فأطلقتُ ضحكة عالية، قبل أن أرد عليه: المظاهر خداعة. والله أنا مدرس عربي.. وميغركش الدوجلاس، والكوتشي، والملابس الكاجوال...!

في هذه الأثناء خرج علينا مدير المدرسة الأستاذ «فاروق»، الذي رحب به قائلًا: أهلًا يا أستاذنا. اتفضل في المكتب. ثم أمرني بالذهاب إلى حصتي. ففعلت.

أثناء انهماكي في شرح أحد دروس النصوص الأدبية، وبينما كنتُ أطلب من الطلاب استخراج الجماليات من الأبيات الشعرية، دخل علينا المدرس الأول الأستاذ «أبو الفضل»، وبصحبته «رفيق الميني باص»، وقدمه لنا قائلًا: «الأستاذ عبد الحفيظ . ح، مستشار اللغة العربية». صمتُ لحظات، قبل أن يقطعها الأستاذ عبد الحفيظ: «كَمِّلْ شرحك يا أستاذ». وقد كان.

أبدى الأستاذ عبد الحفيظ إعجابه بطريقة الشرح، وتوصيل المعلومة

بسهولة ويسر للطلاب. وشاهدت علامات الارتياح على وجهه. قبل أن ينهض لمناقشة أحد الطلاب؛ طالبًا منه إظهار «اللون البياني» أو «مظاهر الجمال» في إحدى الجمل ـ لم أتذكرها تحديدًا. وعندما أجاب الطالب اعترض الأستاذ، فتدخلتُ منحازًا لإجابة الطالب، فأصر الأستاذ على رأيه، وكذلك أنا، وحاولت إقناعه بالإجابة. بينما تدخل المدرس الأول محاولًا التهدئة، وتقريب وجهات النظر.

بعدها أخبرني الأستاذ «أبو الفضل» أن إجابتي هي الأصوب. لكنه لم يقل ذلك أمام مستشار المادة؛ حرصًا على صورته أمام الطلاب. قبل أن يثني هو الآخر على أدائي، ومعلوماتي، ومهارتي.

الشيء الوحيد الذي أخذه عليَّ مستشار اللغة العربية، هو عدم تحضيري الدرس في دفتر التحضير. لكن هذا المأخذ لم يمنع أننا صرنا ـ فيما بعد ـ أصدقاء. كما أنه أشاد بي عند مدير المدرسة الذي بدا وكأنه غير مُصدق.

ربنا يزيد ربنا يبارك

وفقًا لإحصاء وزارة التربية والتعليم للعام الدراسي 2016/ 2017، بلغ عدد العاملين بالتعليم ما قبل الجامعي مليونا و848 ألفاو483، مقسمون كالتالي: عدد المعلمين 992 ألفا و797 معلما ومعلمة، منهم 918 ألفا و216 معلما في التعليم الحكومي، و74 ألفا

و581 في التعليم الخاص.

بينما بلغ عدد المدرسين المتعاقدين حاليا 80 ألفا و267 مدرس متعاقد يعملون جميعا في التعليم الحكومي، وبلغ عدد الأخصائيين 136 ألفا و715 ، منهم 130 ألفا و513 في التعليم الحكومي، و6202 في التعليم الخاص.. وبلغ عدد الإداريين 247 ألفا و993، منهم 229 ألفا و297 إداريا في التعليم الحكومي و18 ألفا و696 في التعليم الخاص، كما يوجد 72 ألفا و912 إداريا متعاقدا في التربية والتعليم.

وبلغ عدد العاملين بدواوين المديريات والإدارات التعليمية 175 ألفا و169، بينما يبلغ عدد الموجهين 35 ألفا و779 موجها.

فيما بلغ عدد معلمي رياض الأطفال هذا العام 45 ألفا و699 معلمة، ومعلمي الابتدائي 420 ألفا و840، ومعلمي الإعدادي 253 ألفا و927، ومعلمي الثانوي العام 105 آلاف و743، ومعلمي الثانوي الصناعي 95066،ومعلمي الثانوي الزراعي 13 ألفا و742، والثانوي التجاري 36 ألفا و965، ومعلمي الثانوي الفندقي 2724، ومعلمي التربية الخاصة 9705.

(11) | صِدام مع المدير

العلاقة مع المدير «فاروق. أ»، لم تكن على ما يرام. فهو يريد أن تكون المدرسة كالوحدة العسكرية، منضبطة للغاية، بينما أهوى الحياة المدنية، بكل ما فيها من كسل، وتراخ، وعدم انضباط. وكثيرًا ما كان يبدي تذمرًا من تصرفاتي، لكنني لم أَكن أعيره اهتمامًا.

كان المدير المالي والإداري «سيد. ع»، ينقذني دائمًا من الخصومات التي يوقعها المدير عليَّ. فعلى مدار الأشهر التي اشتغلتها في المدرسة لم يخصم لي مليمًا واحدًا، سواء عن تأخري، أو لعدم حضوري الحصص المتفق عليها في الجدول. وكان ذلك يثير حفيظة زملائي.

ذات يوم، مارستُ هوايتي المفضلة في الاستيقاظ متأخرًا. وصلتُ إلى المدرسة بينما كان الطلاب يستعدون للخروج بعد انتهاء اليوم الدراسي. قابلني المدير، وعلى وجهه بركان غضب. بلهجة آمرة، طلب مني الذهاب إلى الأستاذ «سيد» لأخذ أوراقي وإنهاء عملي.

ففعلت.

لكن الأستاذ سيد ـ كعادته ـ كان كريمًا معي، وتدخل لاحتواء الموقف، وتوسط لي مجددًا عند المدير، واعدًا إياه بأنها ستكون المرة الأخيرة، وأقنعه بإعطائي آخر فرصة. فاستجاب له.

وفي اليوم التالي ذهبتُ في موعدي المقرر في جدول الحصص. دخلتُ الفصل، وانهمكتُ في الشرح. وكنتُ قد توصلتُ إلى اتفاق شفهي مع الطلاب، بأنني عندما أكون في الفصل فهم تحت حمايتي، وليفعلوا ما شاءوا، طالما كان في إطار الأدب. أما إذا لم أكن موجودًا بينهم، فعليهم التزام الصمت؛ احترامًا لي ولهم. وهو ما كان يثير دهشة وتقدير مشرفي الدور.

وخلال مرور المدير على الفصول؛ للاطمئنان على سير العمل، استوقفه الصوت العالي الصادر من داخل فصلي. نظر إليَّ شذرًا، قبل أن يباغتني بقوله:

إيه الضحك والهرجلة دي يا أستاذ؟ مش قادر تسيطر على الفصل ولا إيه؟

كنتُ بقول لهم نكتة؟

نكتة؟! هو حضرتك جاي تنكت ولا تدرس؟!

الاتنين يا فندم.

ابقى عدي عليَّ بعد الحصة.. قالها وانصرف.

كنتُ مشهورًا بين المدرسين والطلاب بـ«النكت الجديدة»، وكانت وسيلتي ـ في بعض الأحيان ـ لإعادة التركيز للطلاب، إذا ما شعرتُ أنهم «خارج المود».

بعد انصراف المدير، عاودتُ الشرح بنفس الطريقة. وفجأة سمعتُ إطلاق صافرات، وكلمات الغزل والإعجاب تدوي في أرجاء المدرسة. «هكذا يفعل الطلاب المراهقون». قلتها لنفسي، قبل أن يأتيني أحد السعاة ليخبرني بأن هناك «آنسة» تنتظرني في مكتب المدير!

«آنسة»؟ أي آنسة؟ وماذا تريد؟ ولماذا تنتظرني في مكتب المدير؟ أتكون شقيقة أحد الطلاب وجاءت لتقديم شكوى ضدي، أم ماذا؟

حسمتُ أمري، وتوجهتُ إلى حجرة المدير. يا إلهي. إنها هي بشحمها ولحمها. صديقتي «إيمان. أ». كان يجمعنا أكثر من عمل صحفي. وكنتُ أخبرتها بعملي الجديد، ووعدتني بزيارتي. لكنني كنتُ أظن أن مواعيدها كـ«مواعيد عرقوب».

«إيمان» جميلة. جميلة جدًا. كنتُ ألقبها بـ«مُزة الصحافة». بشرتها بيضاء مشربة بالحمرة. عيناها عسليتان. شعرها كستنائي منسدل على كتفيها العاريتين، ليشكل لوحة أنيقة متناغمة مع فستانها «الأورانج»، الذي يكشف عن منبت صدرها.

في حجرة المدير جلست «إيمان» وأمامها كوب من عصير

الليمون. سلمتُ عليها بحرارة. وجلستُ إلى جوارها. قدمتها إلى الأستاذ «فاروق» على أنها «خطيبتي». كذبة بيضاء لا تضر. وأنها تعمل في أقدم مؤسسة صحفية قومية. ابتسمتُ من هذا التقديم، وكأنها ارتاحت إليه.

قرابة اللقاء، الذي امتد لأكثر من ثلث ساعة، تحدثنا في أشياء عديدة لا أتذكر منها شيئًا. واستأذنت المدير في اصطحابها خارج المدرسة، فأذن لي.

«أيوه يا باشا.. ماشية معاك يا مستر.. ربنا يوعدنا»، وغيرها من عبارات الإطراء كانت تمطرنا أنا وإيمان ونحن نغادر المدرسة، مصحوبة بالصافرات التي يطلقها الطلاب والطالبات من أفواههم، وهم وقوف في نوافذ الفصول. بينما كان بعض المدرسين والمدرسات يراقبون الموقف عن كثب؛ مبدين إعجابهم بـ«ذوقي» في اختيار خطيبتي.

زيارة «إيمان» كان لها مفعول السحر في تغيير معاملة المدير معي. إلى الأفضل قطعًا. فقد أخبرته «إيمان» بعلاقاتي، وكيف يمكنه الاستفادة منها في إصدار مجلة تعريفية بأنشطة المدرسة، أو تنظيم احتفالات وندوات لكبار العلماء كترويج للمدرسة ودعاية لها. وهو ما حدث بعد ذلك.

حشو مؤقت

تعاني معظم المدارس الحكومية والخاصة في مصر من وجود عجز في المعلمين، خاصة في بعض التخصصات، ما دفع وزير التربية والتعليم والتعليم الفني، الدكتور الهلالي الشربيني، إلى إصدار قرار وزاري في أغسطس 2016، بالاستعانة بالأخصائيين بنسبة «25٪»؛ لسد عجز المدرسين داخل المدارس في الإدارات التعليمية.

(12) | رئيس مباحث في المدرسة

ذات يوم حدثت مشكلة ما في المدرسة. لا أتذكر على وجه الدقة إن كانت متعلقة بمشاجرة «كبيرة» بالأسلحة البيضاء والشوم بين بعض الطلبة وأهالي بالمنطقة، بسبب «معاكسة» الفتيات، أو متعلقة بـ«اختفاء طالبة».

المهم أنه في ذلك اليوم كانت المدرسة «مقلوبة»، المدير والوكلاء والمدرسون والطلبة يقفون في «الحوش» وخارج أسوار المدرسة، والأهالي ينظرون من نوافذهم وبلكونات منازلهم المطلة على المدرسة.

الهمهمات صارت كلامًا مسموعًا. والكلام تحول إلى جلبة وضجيج، ثم إلى مشادات تحولت إلى اشتباكات.. وما هي إلا دقائق حتى وصل «بوكس شرطة» نزل منه بعض رجال الأمن. كنتُ أعرف أحدهم، إنه الرائد «خ. م»، رئيس المباحث، وكنت التقيته عدة مرات بحكم عملي السابق في الصحافة. وبينما كان الصمتُ يفرض سطوته

على الحضور، تقدمت إليه، وسلمتُ عليه، واحتضنته، وكان ذلك كفيلًا بجذب الانتباه إليَّ.

ما أتذكره أنني استطعت احتواء المشكلة «وديًا»، دون اللجوء إلى تحرير محضر في قسم الشرطة. وانصرف رئيس المباحث والقوة المرافقة له؛ عائدين من حيث أتوا.

بعدها اصطحبني المدير إلى مكتبه، وطلب لي فنجانًا من القهوة «المخصوصة له. وشكرني على صنيعي، ثم سألني عن العلاقة التي تربطني برئيس المباحث، هل هي مجرد معرفة، أو تربطني به صلة قرابة؟ فتهربتُ من أسئلته ولم أشف غليله بإجابة حاسمة؛ وواصلت تهريجي معه قائلًا: «مع أيمن أنت في أمان»! فابتسم، واستأذنته في الانصراف.

معاملة المدير معي تغيرت إلى الأفضل طبعًا. وكذلك بعض المدرسين من «شِلة محسن»؛ اعتقادًا منهم أنني «واصل»، و«صاحب نفوذ». لكن الحقيقة أنني لم أكن أملك لنفسي حولًا ولا قوة، بل وأضعف مما يظنون.

حاولتُ ـ قدر الإمكان ـ خدمة المدرسة والطلاب. بدأتُ في إعداد سلسلة من الندوات يحاضر فيها بعض علماء الدين، منهم الشيخ الراحل «عطية صقر»، الذي شغل منصب رئيس لجنة الإفتاء بالأزهر الشريف، وكان عضوًا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضوًا سابقًا في مجلسي الشعب والشورى. كما نظمتُ ندوة عن خطورة

«الإدمان»، و«التسرب من التعليم»، ودعوت فيها متخصصين لمناقشة هذه القضايا.

في هذه الأثناء، كانت الأمور تسير نحو الأفضل، على الرغم من أنني لم أكن ملتزمًا لا في الحضور ولا في الانصراف، ولا ملتزمًا بالتحضير وجدول الحصص، أو حتى حصص الاحتياط، فقد كنتُ أهرب منها هروبي من الأمراض المعدية؛ مستعينًا بـ«تظبيط» أموري مع «الأومباشي» مشرف الدور، ورشوته بـ«السجائر» وأشياء أخرى. فضلًا عن كرم المدير المالي والإداري معي الذي لم يخصم لي مليمًا واحدًا، بل كان يعطيني راتبًا ومكافآت أكثر من زملائي الملتزمين بجداولهم، ويحضرون حصصًا إضافية!

كل ذلك فتح عليَّ أبواب الجحيم، إذ بلغ غيظ وسخط زملائي عليَّ إلى تحريض المدرس الأول ضدي، ووصفهم لي بأنني «مدرس على ما تفرج».. وعرفتُ ذلك عندما كنا في حجرة مدرسي اللغة العربية. فخلال مداعباتنا مع الأستاذ «أبو الفضل»، ألقى علينا جملة، وطلب منا إعرابها. ولم يفلح أي زميل في إعرابها. بينما التزمتُ الصمتُ في حضرة مدرسين أكبر مني. لكن المدرس الأول باغتني: «تعرف الإجابة يا حج أيمن»؟ أيوه. وأعربتُ الجملة، فأخرج عشرين جنيهًا ومنحني إياها، قبل أن يوجه حديثه لزملائي: «مش دا إللي بتقولوا عليه على أده.. أهو طلع أشطر منكم»!

الغريب والمثير للشفقة أن أحد المدرسين من خريجي إحدى الكليات الأزهرية كان يخطئ في الإملاء! نعم يخطئ في الإملاء. إذ ضبطته متلبسًا وهو يكتب في استمارة التقديم لمسابقة نظمتها المدرسة أنه حاصل على ليسانس «الديراسات الإسلامية»! أي والله يكتبها هكذا.. فأشفقتُ على طلابه، وعلى مستوى التعليم المتردي الذي وصل إلى الأزهر.

الأمية في زمن العولمة

في مايو 2017، أعلن رئيس هيئة محوالأمية وتعليم الكبار، الدكتور عصام قمر، أن نسبة الأمية في مصرحاليا وصلت إلى ٪20.4، منهم 8 ملايين من الإناث و4 ملايين ذكور.

فيما رأى أمين سر لجنة التعليم والبحث العلمي بمجلس النواب، عبد الرحمن بكري، أن نسبة الأمية في مصر أعلى من ذلك، مضيفًا- في تصريحات صحفية- أن ٪50 ممن يحصلون على الشهادات في مصر لديهم أمية، كما أن هناك نسبة ممن يتخرجون من دورات محو الأمية لايزال لديهم أمية.

(13) | درس خصوصي

أعترف بأنني كنتُ حادًا مع الطلاب، بل وعنيفًا معهم، وأحيانًا أستخدم القسوة مع أحدهم حال ما تكرر عدم التزامه بالقواعد والتعليمات التي وضعتها لهم مسبقًا؛ كشروط أساسية لا تهاون فيها؛ لاستمرار الاحترام المتبادل بيننا، والحفاظ على المسافة الفاصلة بين المدرس والطلاب.

وكما ابتكرتُ طريقة جديدة للشرح من خلال «التنكيت»، و«الطبلة»، من خلال الضرب على الديسك، ابتكرتُ أيضًا طريقة جديدة لـ«العقاب» تتمثل في «الضرب على القفا»، لكن بطريقة «النغمات»، وكأنني أضرب على الدف. وكثيرًا ما كان الطلبة يطلبون مني تكرار «النغمة» أقصد «الضرب» على قفاهم.

وبرغم قسوتي مع كثير من الطلاب، إلا أنني كنتُ محبوبًا عندهم؛ وربما يرجع ذلك إلى وقوفي إلى جانبهم في مواقف كثيرة، في وقت تخلى

عنهم مدرسون آخرون.

خلال فترة قصيرة، استطعتُ ـ بفضل من الله، ثم بحب الطلاب لشخصي وطريقتي في الشرح ـ تكوين نواة من الطلبة المجتهدين، لم يتجاوزوا أصابع اليدين، لكنهم كانوا مثار إعجاب الجميع؛ خاصة وأنهم أصبحوا عماد الإذاعة المدرسية، وكنتُ أتولى الكتابة وإعداد المواد الإذاعية لهم، وتدريبهم على الإلقاء. لكن ذلك لم يشفع لي في أحيان كثيرة.

وعلى الرغم من أنني كنتُ أحرض الطلاب ضد الدروس الخصوصية، وأهاجم المدرسين الذين يمارسون هذا الفعل، إلا أنني اضطررتُ لأن أحذو حذوهم، تحت ضغط وإلحاح من بعض الطلاب الذين لم يكن يعنيهم النجاح، قدر ما كانوا يبحثون عن تعليم حقيقي، كما كانوا يبررون طلبهم مني.

كما ذكرتُ سابقًا، فإن اللغة العربية كانت من المواد الأقل شأنًا في المدرسة، ولم يكن يهتم بها أحد من الطلبة إلا النذر القليل منهم، بينما يعتمد معظمهم على الملازم، ومراجعة ليلة الامتحان فقط. وربما يرجع ذلك إلى «شِلة» الأستاذ محسن، الذين رسخوا في أذهان الطلبة أن العربي «مش مهم»، و«محدش بيسقط فيه»!

التسعيرة التي وضعتها «شِلة محسن» كانت تعامل اللغة العربية معاملة «العبيد» في الجاهلية، ولا تعترف بها إلا لخدمة المواد الأخرى.

كانت مواد الرياضيات واللغتين الفرنسية والإنجليزية بـ«30 جنيهًا»، و«علم النفس» والمواد التجارية بـ«25 جنيهًا»، والمواد الفندقية بـ«20 جنيهًا». أما العربي فكان بـ«10 و15 جنيهًا» فقط لأربع حصص شهريًا.

ولأنني حاولت التهرب أكثر من مرة من الطلاب الذين يُلحون عليَّ لأخذ درس خصوصي معي، وضعتُ تسعيرة جديدة خاصة بي، «50 جنيهًا» في الشهر، مع الاحتفاظ بحقي في اختيار الطلاب الذين لا يبحثون عن العلم أكثر من البحث عن شهادة. وكان من بين الذين اخترتهم طلابًا يستدين أهلهم لتعليم ذويهم؛ ليضمنوا لهم وظيفة بعد التخرج؛ مصدقين إعلانات المدرسة. أمثال هؤلاء الطلاب كنتُ أعطيهم درسًا «مجانيًا»؛ شريطة إظهار جديتهم في التعليم، والارتقاء بمستواهم التعليمي.

كان عندي نحو 25 طالبًا وطالبة في الدرس الخصوصي. صحيح هو رقم ضئيل قياسًا بالأعداد الغفيرة عند مدرسي الرياضيات والإنجليزي والفرنساوي، إلا أن الحصيلة النهائية تكاد تكون واحدة، أو أقل قليلًا. إذا ما أخذنا في الاعتبار أن كل واحدة من الطالبات من ميسورات الحال، كانت تفضل أن تأخذ درسًا منفردًا، على أن تدفع لي ثمن المجموعة «7 أفراد»!

هذه الطريقة جلبت عليَّ كثيرًا من المتاعب، وألّبتْ عليَّ بعض

المدرسين، خاصة «شِلة محسن». بل وصل الأمر إلى إثارة الشائعات بأنني على علاقة «غير بريئة» ببعض الطالبات المراهقات. ولم يكن يقف إلى جواري في كل مرة سوى الأستاذ «مولانا»، و«أبو السيد». لكن ـ وكما يقولون ـ «مش كل مرة تسلم الجرة»، و«العيار إللي ما يصيبش يدوش»!

لم أستسلم. لكن ـ وللأسف ـ خُضتُ حربًا غير شريفة، مع خصوم يستخدمون أسلحة «غير مشروعة» من أجل تحقيق أي مكسب، ولو على حساب الآخرين وتشويه سُمعتهم.

في كل حربٍ كنتُ أخرج منتصرًا، لكن هذا الانتصار كان محدودًا للغاية، وفي نطاق طلابي و«شِلتي» من المدرسين الجدد. لكن إدارة المدرسة لم تكن ترغب في استمراري، أو استمرار أي مدرس على شاكلتي قد يتسبب في إثارة مشاكل، أو يشوه سُمعة المدرسة!

بلاها مدارس

الطالب محمد أحمد عبد العزيز، الحاصل على المركز الثاني على الثانوية العامة شعبة رياضيات للعام المدرسي 2016/ 2017، قال إنه اكتفى بالدروس الخصوصية ولم يذهب إلى المدرسة نهائيًا، مضيفا أن أصدقاءه كانوا يستبعدون فكرة الذهاب إلى المدرسة، ولذلك كان قراره الجلوس في المنزل والاستعاضة بالدروس الخصوصية.. «لا تكن مثل محمد»!

(14) | «الشاويش منال»

كما ذكرتُ آنفًا، أن المدرسة الفندقية «مشتركة»، بنين وبنات، لكن لكل جنس من الجنسين مبنى مستقل. وكانت تشرف على فصول الطالبات مشرفتان؛ الأولى تدعى «وفاء. ع»، والثانية «منال. أ». ونادرًا ما كنتُ أرى أيديهما دون الإمساك بعصاة طويلة، أو خرطوم بلاستيكي، وكأن العصا والخرطوم من لوازم السيطرة، وبث الخوف في نفوس الدارسات المراهقات.

المشرفة «وفاء» كانت متوسطة القامة، قياسًا ببنات جنسها، محجبة، جسمها ممتلئ جدًا. ممكن وصفها بـ«البدينة». بشرتها قمحية اللون. عيناها سوداوان وكبيرتان. صوتها جهوري. إذا ما أطلقتْ صرخة في الطرقة فإنها كفيلة بإخراس الطالبات في الفصول. لا تضحك أبدًا. لكن على الرغم من ذلك فإن وجهها يحمل ملامح ابتسامة تحاول دائمًا أن تخفيها.

لم يكن هناك «عمار» بيني وبين المشرفة «وفاء». حاولتُ كثيرًا فك شفرتها، ومعرفة سر عدم زواجها رغم تخطيها الثلاثين. كانت تصدني. ترفض أن تتحدث معي، أو مع غيري في أي موضوع إلا نادرًا. كانت تنظر إليَّ على أنني مدرس «مستهتر»، أو «عايق في نفسه»، ولا همّ لي سوي الإيقاع بالطالبات المراهقات. وكثيرًا ما كانت تقتحم عليَّ الفصل؛ في محاولة منها لضبطي «متلبسًا» بأي شيء لا علاقة له بشرح المنهج. لكن في كل مرة كان يخيب ظنها.

على وجه الدقة، لا أدري مَنْ الذي أوصل إلى «وفاء» هذا الانطباع عني. على الرغم من فشلي في التعامل مع الجنس الناعم، وعدم ترحيبي بالتدريس لهن؛ بسبب «دلعهن»، واحتياجهن لمعاملة خاصة، ليس لمرارتي القدرة على احتمالها. وكثيرًا ما كنتُ أطلب من المدرس الأول إعفائي من التدريس في فصل البنات. لكن في كل مرة كان طلبي يقابل بالرفض. إلى أن افتعلت مشاجرة مع «وفاء» فتم إعفائي من التدريس للطالبات.

أما المشرفة «منال»، فقد كانت على النقيض من نظيرتها «وفاء». فهي طويلة. طولها يتجاوز 180 سنتيمترًا. جسمها يبدو ممتلئًا، لكنه متناسق مع طولها. محجبة. بشرتها سمراء. ملامحها كبيرة. صوتها أقرب إلى صوت الرجال. وقوفها على رأس الطرقة المؤدية إلى الفصول، كان كفيلًا ببث الرعب في قلوب المدرسين قبل الطلبة.

مشيتها أقرب إلى المشية العسكرية؛ لذا أطلقتُ عليها «الشاويش منال»، وكثيرًا ما كنتُ أناديها بهذا اللقب دون أن تغضب.

علاقتي بـ«منال» مرَّتْ بعدة مراحل. بدأت بمشادة كلامية، بسبب اعتراضي على معاملتها لإحدى الطالبات. ثم مرحلة «جس النبض»؛ لـ«تظبيط» أموري معها. وأخيرًا مرحلة الارتياح المتبادل.

منال مثل قرينتها وفاء. تجاوزت الثلاثين ولم يطرق بابها «ابن الحلال» الذي طال انتظاره. علاقتي توطدت بها عندما تحدثتْ معي عن الزواج، حتى الآن. كنتُ وقتها تخطيتُ الثلاثين بعام واحد، لكن كان مظهري يدل على أنني في أوائل العشرين، كما كان يقول مدرسون وطلاب. لم أجد إجابة لأسئلتها عن تأخري في الزواج سوى «القسمة والنصيب». وهو نفس ردها أيضًا.

ذات يوم كنتُ أدخن وأحتسي ـ بمفردي ـ فنجانًا من «قهوة» داخل أحد الفصول. وما إن انتهيتُ من قهوتي، حتى قلبت الفنجان على الطبق؛ محاولًا تقليد قارئي الفنجان. في هذه الأثناء كانت «منال» تتمم على الفصول. دخلتْ عليَّ. رأت الفنجان مقلوبًا على وجهه. سألتني:

أنت بتعمل إيه؟

ساخرًا: زي ما أنتِ شايفه.. بقرا الفنجان!

هو أنت ليك في قراية الفنجان؟

ياه.. الفنجان، والكف كمان.. تحب تجربي؟

لم أكن أجيد قراءة الفنجان، ولا الكف. بل لم تكن لي أي علاقة بأمور الدجل والشعوذة، التي يلجأ إليها الدجالون والمشعوذون؛ للنصب على ضحاياهم، والحصول على أموالهم؛ بدعوى معرفة طالعهم، أو جلب الحبيب إليهم، أو إبطال سحر أسود تعرضوا له.. لكن وجدتني أقول لها ذلك، دون تفكير مني.

من الممكن اعتبار تلك اللحظة هي بداية استمالة «منال»، وتطويعها لصالحي.. قرأتُ لها الكف؛ اعتمادًا على ما كنتُ أسمعه من الدجالين في الأفلام، وخلال احتكاكي بهم بحكم اشتغالي في الصحافة. لا أدري ماذا قلتُ لها. كل ما أتذكره أنني عندما كنتُ أقول لها شيئًا تبدي ارتياحًا لما أقول.. فنحن نصدق ما يقوله الدجال طالما صادف هوى بداخلنا.

الشيء الوحيد الذي أتذكره، وصدَّقتْ عليه «الشاويش منال»، أنني قلتُ لها أن «عريسًا» سيطرق بابها بعد يومين. تهلل وجهها، وباستغراب قالت: «وعرفت منين؟ دا فعلًا حد جاي يتقدم لي بعد يومين»! كنتُ عرفتُ هذه المعلومة من إحدى المدرسات. لكن لم أخبر بها أحدًا. وكان من نتيجة ذلك أن منال كثيرًا ما كانت تلح عليَّ في قراءة الكف أو الفنجان، لكني كنتُ أعتذر لها؛ مدعيًا أن ذلك يرهقني كثيرًا، إضافة إلى أنني أحاول التوبة من هذه الأفعال التي

تغضب الله ورسوله!

وذات يوم كنتُ ذاهبًا إلى بورسعيد مع بعض زملائي من خارج المدرسة. ومن باب «عزومة المراكبية»، سألتُ منال: «مش عاوزة حاجة من المدينة الحرة»؟ فطلبتْ مني شراء «بيجامة حريمي على ذوقي». وقد كان.. وبعدها ساعدتني «الشاويش منال» في حل مشاكل كثيرة تعرضتُ لها بسبب مضايقات بعض المدرسين، فضلًا عن عدم انتظامي في التدريس!

كلام كبير

يواجه التعليم الفني في مصر مشاكل عدة، تتعلق بضعف الإمكانات وتوفير الخامات والمعدات المطلوبة لتدريب الطلاب عليها بالمدارس، إضافة إلى مناهج غير مستحدثة لمواكبة التطور التكنولوجي الذي تشهده التخصصات، سواء في المجال التجاري أو الصناعي أو الزراعي أو الفندقي؛ بما يجعل الخريج ليس على درجة عالية من الكفاءة للالتحاق بسوق العمل وتحقيق إنتاج.

في حين أن العمالة الفنية المهنية المدربة تساهم بشكل كبير في اقتصاديات دول العالم. ويعتبر النظام الذي تتبعه دول مثل اليابان وألمانيا في التعليم الفني والتدريب المهني أهم العوامل وراء نجاحها وتفوقها على منافسيها، من خلال توفير معظم برامج التعليم الفني

الذي يساهم بنسبة ٪75 من اقتصاد الدول.

وأوصى خبراء معنيون بشؤون التعليم، بضرورة إنشاء مجلس أعلى للتعليم الفني لوضع السياسات والمعايير المنظمة لهذا المجال، وتطوير التعليم المزدوج، وتحويل المدرسة إلى مدرسة منتجة، بالإضافة إلى التوسع في إنشاء تخصصات نوعية تخدم المجتمع وسوق رأس المال.

(15) | «لجنة وزارية».. المهم الروتين!

ذات يوم كنتُ «مقريف». لم يكن «مزاجي» مهيئًا للشرح. دخلتُ الفصل. وجهي كان كفيلًا بأن يقفل الطلاب أفواههم على ألسنتهم، فقد عرفوني أنني عندما أكون «مش في المود» فلن أسمح بأي دعابة، أو بأي صوت داخل الفصل؛ وإلا.. وآه من إلا هذه!

السبورة كانت سوداء. لم يقترب منها لون الطباشير الأبيض أو الألوان.. ودون إعداد مسبق، طلبتُ من الطلاب إعادة تسميع «حروف الهجاء». معظمهم لم يكن حافظًا لها، لكن ـ على الأقل ـ مستواهم تحسن عن أول الدراسة. وبينما أجري اختبارًا للطلاب، دخل علينا «مولانا»، المدرس الأول، وبصحبته ثلاثة أو أربعة أشخاص ـ لا أتذكر عددهم على وجه الدقة ـ يبدو من هيئتهم، واهتمام الإدارة بهم أنهم من «عِلية القوم». وفيما بعد عرفتُ أنهم من إدارة «التعليم الخاص» التابعة لوزارة التربية والتعليم.

نظر إليَّ أحدهم، ثم وجه لي سؤالًا كنتُ أتوقعه:

هي الحصة دي إيه يا أستاذ؟

كاتمًا غيظي.. عربي يا فندم!

أيوه ما أنا عارف إنها عربي.. أنا بسألك: نحو ولا نصوص، ولا تعبير، ولا تطبيق؟

لا ده ولا ده.. دي حصة «فِري».

يعني إيه؟

يعني ممكن تعتبرها حضرتك حصة رسم «سريالي»!

وبينما يسألني أحدهم، كان الآخر «يفتش» في «دفتر تحضير الدروس».. وكالعادة.. كان دفتر التحضير الخاص بي، لا يعترف بالروتين التعليمي. كان عضو اللجنة ممسكًا بالكشكول، وأخذ يقلب في أوراقه، وهو ينظر إليَّ نظرات أعي مغزاها جيدًا. ثم وجه حديثه إليَّ:

إيه ده يا أستاذ؟ أنت مش محضر الدرس ولا إيه؟

نسيت يا فندم.

نسيت إزاي يعني؟

جل مَنْ لا يسهو يا فندم.

بعدها أدار أحد أفراد اللجنة وجهه إلى السبورة، وكتب عليها جملة وطلب من الطلاب إعرابها. كانت الجملة تتضمن مبتدأين

وخبرين، ولم يستطع أي من الطلاب إعرابها. فعاتبني المسؤول، وقال لي: «إيه ده يا أستاذ، ولا واحد عارف يعرب الجملة.. أومال فين شرحك»؟!

لم أجبه، واكتفيتُ بالصمت، كاتمًا غيظي داخلي، متمنيًا أن تنتهي هذه التمثيلية.

ثم طلب أحد أفراد اللجنة من الطلاب قراءة بعض النصوص الأدبية، فجاءت قراءتهم «ركيكة» للغاية. فكرر المسؤول عتابه عليَّ، ولكن بطريقة استفزازية أسوأ من الأولى: إيه ده يا أستاذ، الطلبة كمان مش عارفين يقروا؟

وللمرة الثانية، كتمتُ غيظي، قبل أن أوجه حديثي الساخر للجنة: معلش أصل الطلبة مخضوضين شوية، أصل أنتم ليكم هيبة.. ثم أشرت إلى أحد الطلاب، وطلبتُ منه الوقوف، وسألته:

اسمك إيه يا بني؟

محمد.

ومحمد دا اسم ولا فعل؟

اسم يا أستاذ؟

اسم إيه؟ بقولك محمد!

يبقى فعل يا أستاذ.

برافوا عليك.. فعل ماضي ولا مضارع؟

ماضي يا أستاذ؟

لأ.

يبقى مضارع يا أستاذ؟!

عندها لم أتمالك نفسي، فانفجرت كالبركان في وجه عضو اللجنة الوزارية: شوفت المستوى يا أستاذ؟ طبعًا من حقهم إنهم مش عارفين يقروا، وأنتم السبب.. عارف ليه؟ عشان أنتم إللي سمحتم إنهم يوصلوا إلى هذه المرحلة، دون أن يعرفوا أبسط قواعد القراءة.. وحضرتك جاي تحاسبني دلوقت.. كنت فين حضرتك لما الطلاب دول كانوا في الابتدائي؟ إزاي نجحوا في أولى وتانية وتالتة ورابعة وخامسة وسادسة؟ إزاي طلعوا الإعدادي وهم يجهلون القراءة؟ كيف نجحوا في الامتحانات؟ وإزاي نجحوا في تالتة إعداي؟ ومين إللي نجحهم؟

وبرغم من تدخل المدرس الأول لـ«تهدئتي»، إلا أنني كنتُ كقطار خرج عن القضبان، ولم يستطع أحد السيطرة عليه، فواصلتُ غضبي: أنتم أهم حاجة عندكم نتيجة جميع المراحل تكون مشرفة، وبنسبة معينة، عشان الوزير يطلع «يتفشخر» أمام القيادة السياسية، ويقولهم دي إنجازات الوزارة.. وأي لجنة بتمر على المدارس مش بيهمها أي حاجة غير دفاتر التحضير، والكلام المرصوص على السبورة.. أما العيال تفهم أو متفهمش فمش في دماغكم.

ثم فجرتُ في وجههم قنبلة: أنتم عارفين أنا كنتُ بعمل للطلاب اختبار في إيه؟ قوم يا بني.. وأشرتُ لأحد الطلاب: قل لهم أنا كنتُ بعملكم اختبار في إيه.. فأجاب الطالب «مرتجفًا»: تسميع «حروف الهجاء»!.. فنظر إليَّ أفراد اللجنة «مندهشين» مما سمعوه من الطالب.

لكني واصلتُ هجومي: «ألف باء» يا أساتذة.. ألف باء.. ألف باء لطلبة في الصف الأول الثانوي.. عارفين دا معناه إيه؟ معناه إن الطلاب دول لسه هبدأ معاهم وكأنهم في «كي جي وان»، أو في أولى ابتدائي.. يبقى مين يحاسب مين؟ أنا إللي أحاسبكم، ولا أنتم إللي تحاسبوني؟!

ما إن أفرغتُ ما في جوفي، حتى حاول المدرس الأول تهدئة ثورتي، وكبح جماح غضبي؛ حرصًا على صورة أعضاء لجنة الإدارة أمام الطلاب. وبالفعل استجبتُ لمحاولاته. وبعدها خرج أعضاء اللجنة متوجهين إلى حجرة مدير المدرسة، فيما تراجع «مولانا» خطوتين إلى الخلف، وأشار لي بإصبعه الإبهام، دليلًا على إعجابه وتأييده لكلامي.. بينما نظرات الإعجاب تملأ عيون الطلاب، وكأنهم هم الذين أحرزوا أهداف النصر. على الرغم من أن الأهداف دخلت مرماهم هم دون غيرهم.

أكثر من نصف ساعة مرت على هذه الواقعة، وفجأة استدعاني أحد السعاة، طالبًا مني التوجه إلى حجرة المدير. وهناك أخبرني المدير

بإعجاب اللجنة الوزارية بأدائي، وأنهم منحوني درجة «امتياز» في تقريرهم الذي كتبوه وسيرفعونه إلى الإدارة التعليمية!

«امتياز؟ إزاي يعني؟ دا لا أنا شرحت ولا حضرت الدرس، ولا حتى اتنيلت.. يبقى إزاي يدوني امتياز.. وعلى أي أساس؟ تكونش اللجنة قفشت المعلوم، وأخدت إللي فيه القسمة؟».. كلها أسئلة تكاثرت في ذهني؛ مُخلفة علامة استفهام كبيرة جدًا: هل هكذا تدار الأمور؟

بعدها أدركت سر هذا «الامتياز»، إذ أخبرني المدرس الأول أن المدير الإداري قال للجنة الوزارية إن «خطيبتي صحفية كبيرة، وإنها ممكن تقلب الدنيا على المدرسة والإدارة، إذا ما أخذتُ جزاءً، جراء تقصيري»!

الفجوة بيني وبين المدرسة، وبين بعض المدرسين، كانت تزداد يومًا بعد الآخر. لم أستطع التأقلم مع «الجو الجديد»، وعلى الرغم من مرور ما يقرب من شهرين على التحاقي بالتدريس، إلا أن الحنين كان يجرفني إلى مهنتي الأصلية، «الصحافة».. رائحة «ورق الدشت».. وحدة التجهيزات.. مراحل الطباعة.. أحبار المطبعة.. كلها أشياء أحن إليها، ولم أستطع التخلص من آثارها الجانبية.. لكن لم أحسم قراري بعد بالعودة إليها.

كله تمام يا ضندم!

ربما لا أكون مبالغًا حين أقول إن اللجان الوزارية التي تتابع سير العملية التعليمية في المدارس الحكومية والخاصة، لا تهتم إلا بـ«الشكل» فقط، والتوقيع في كشف الزوار كنوع من «الروتين»، وإثبات حضورهم. أما متابعة العملية التعليمية ومشاكل التعليم في المدارس، فظني أنها تأتي في مؤخرة اهتمام هؤلاء.

(16) | مدرس عربي وجغرافيا وE!

في موقف سابق، ذكرتُ أنني كنتُ أبتكر بعض الطرق «غير التقليدية» لشرح المنهج، وتوصيل المعلومة إلى أذهان الطلاب بكل سهولة.. ومن بين الطرق التي ابتكرتها، كان شرح «تاريخ الأدب» من خلال الخرائط، خاصة خريطة شبه الجزيرة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام.

وتاريخ الأدب ـ لمن أراد التذكرة أو المعرفة ـ علم يتناول دراسة الظواهر الأدبية، ويصفها وصفًا علميًا يكشف عن الخصائص الفنية؛ مبرزا العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تأثرت بها.. وتدريس الأدب يحتاج إلى ما نسميه تاريخ الأدب. كما أنه يعتمد على دراسة النصوص الأدبية، كمادة التاريخ الأدبي التي ترتكز حولها دراسته هي الأدب الصرف، التي لا تزال نصوصه حية، ذات قدرة على الإثارة الفكرية والوجدانية.

وما من شك ـ أو هكذا أعتقد ـ أن تاريخ الأدب، لا ينفصل عن الجغرافيا المكانية، والعوامل الطبيعية التي من الممكن أن تؤثر في وجدان الأديب، سواء بالسلب أو الإيجاب. ومن هنا جاءت فكرة الاستعانة بالخرائط؛ لتوضيح الصورة، وتقريبها إلى أذهان الطلاب.

والاستعانة بالخرائط الجغرافية، أو الوسائل التوضيحية الأخرى لتدريس تاريخ الأدب، الهدف منها ربط الجوانب التاريخية والجغرافية والثقافية ببعضها؛ دون الدخول في مسائل بلاغية دقيقة أو قواعد نقدية معقدة؛ اقتصارًا على ذكر أحوال الأدب وعوامل نهضته وسقوطه، وأعلام اللغة والأدب في عصوره المختلفة، وبيان ما أثر فيه من العوامل السياسية والاجتماعية والطبيعية.

ما علينا.. نعود إلى سيرتنا الأولى.. فقد تعلمت رسم الخرائط في المرحلة الإعدادية على يد أستاذي «مصطفى عمارة»، الذي جعلتي مولعًا بالتاريخ والجغرافيا، ونشأة قصة حب بيني وبين هاتين المادتين، إلى الدرجة التي كان يطلب مني شرح الدرس لزملائي في وجوده. وامتد هذا الولع خلال دراستي الثانوية، وإن كان خبا بعض الشيء، ولم يكن بنفس جذوة الإعدادي.

ذات يوم كنتُ أشرح درسًا في الأدب الجاهلي. لم أتذكر ما هو على وجه الدقة. وامتدت يدي لتمسك الطباشير الملون وراحت ترسم خريطة لـ«شبه الجزيرة العربية» قبل الإسلام.. وأخذت

أوضح للطلاب الأماكن التي كانت تعيش فيها القبائل، ومواضع أسواقهم، وتجمعاتهم الثقافية.. والطلاب لا يحركون ساكنًا، وكأنهم في «أمن الدولة»؛ منصتين تمامًا، مستمتعين بطريقة الشرح الجديدة؛ خاصة المشهد التمثيلي الذي ابتكرته أيضًا بمساعدة بعض الطلاب.

في هذه الأثناء، أطل علينا ـ من شباك الفصل ـ رجل ستيني، له هيبة لا تخطئها العين. وقف لحظة ثم انصرف، قبل أن يعاود الوقوف في الشباك ويستفسر مني:لو سمحت، هي الحصة دي عربي ولا جغرافيا يا أستاذ؟

عربي يا فندم.

أومال إيه الخريطة دي؟ وترك الشباك وجاءني من الباب.

دي عشان أوضح لهم الدرس، وكيف كانت الحياة في العصر الجاهلي.

الله يفتح عليك يا بني.. أنا من ساعة ما اشتغلت في التعليم ما شوفتش حد بيعمل إللي بتعمله ده.. دا أنا كنت مفكرك مدرس جغرافيا، وعشان كده كنت ماشي، ولما شوفت الجدول لقيت إن الحصة دي «عربي»، وعشان كده رجعت تاني.

تشرف يا فندم.

اتفضل كَمِّل الشرح.

واصلت الشرح، واندمجت فيه، بينما جلس المستشار الأول

للغة العربية، «سعد. ع»، في مقعد في الصف الأخير، بجوار أحد الطلاب؛ مبتسمًا، مبديًا رضاءه عن المستوى، كما تُظهر ملامح وجهه. وخلال الحصة لم أتوقف عن «التنكيت» مع الطلاب، أو ضربهم على «قفاهم» بناء على طلبهم.. وعند موعد دق جرس الحصة، ترك مكانه، وتقدم نحوي، وصافحني بحرارة، قبل أن يطلب مني «دفتر التحضير»، فاعتذرتُ له، فقبل الاعتذار مع التأكيد عليَّ بعدم تكرار ذلك، فهززتُ رأسي بالموافقة.. وبعدها صار «المستشار سعد» زبونًا دائمًا عندي، كلما شرفنا بالحضور إلى المدرسة، بل وتبادلنا أرقام التليفونات؛ لنطمئن على بعضنا البعض، حال فرمتنا تروس الحياة.

أنهيت الحصة وخرجتُ تاركًا الفصل لاستقبال مدرس الجغرافيا «حاتم. ال»، الذي ما إن رأى «الخريطة» مرسومة على السبورة، حتى بادر بسؤال الطلاب: هو الأستاذ أيمن بيديكم جغرافيا كمان؟ هكذا أخبرني أحد الطلاب. إلا أن الطلبة أخبروه بالحقيقة، لكنه لم يقتنع، أو ربما لم يكن يريد الاقتناع. وراح يروج شائعات، ويوشي بي عند المدير بأنني أحرض الطلاب عليه، وأنني أعطي الطلاب دروسًا في الدراسات الاجتماعية، والدليل ما وجده على السبورة.

الأدهى من ذلك، أن الطلاب كان عندهم «اختبار شهري» في مادة الدراسات. والأسئلة كانت إما «صح أو خطأ»، أو «أكمل مكان النقط»، أو «توصيل من العمود أ إلى ب». وتصادف أنني

كنتُ مراقبًا على الطلاب في هذا الامتحان، الذي كان يُجرى بطريقة «شكلية هزلية» فقط؛ وهو ما دفعني إلى «تغشيش» الطلبة، وحل الامتحان معهم. وكانت النتيجة أن جميع طلاب الفصل حصلوا على الدرجة النهائية؛ وأحيل الأستاذ «حاتم» إلى التحقيق؛ بسبب ذلك. لكن لم يُتخذ إجراءً بحقه؛ لإقراري بأنني كنتُ السبب في هذه النتيجة!

وما زاد الطين بلة، أن ما فعلته في امتحان الدراسات، كررته في الامتحان الشهري في اللغة «الإنجليزية»، وحصل الطلاب ـ عدا أربعة أو خمسة على ما أذكر ـ على الدرجات النهائية. إلا أن مدرس المادة «وليد. ع» كان من زملاء «شِلتي» المقربين إلى قلبي. ولم يبلغ الإدارة بما فعلته. واكتفى بمهازحتي بأنه سوف يغشش الطلاب امتحان «العربي» مثلما فعلت معه في الإنجليزي!

بعدها راجت في المدرسة شائعة قوية، مفادها بأنني على علم بجميع المواد. خاصة بعد ما فعلته في امتحان الدراسات، والإنجليزي، وبعدها امتحان علم النفس، والتربية الدينية. وأصبحتُ ملجأً للطلاب، ومرجعًا لهم كلما استعصت عليهم أي مادة.. والحقيقة أن كثيرًا ما كان ربنا «بيسترها» على العبد الفقير، ولم يفضحني أمام الطلبة.

وعلى الرغم من زيادة مساحة المحبة في قلوب الطلاب، يومًا بعد

الآخر، إلا أن وتيرة «الخنقة» من المدرسة كانت تتسارع بنفس القدر تقريبًا؛ خاصة بعد المضايقات اليومية من بعض المدرسين، الذين يشتكون مني لدى الإدارة؛ لأنني لم أكن أحضر طابور الصباح، ولا ألتزم بجدول الحصص، ولا أحضر حصص احتياطي، ولا أتواجد للإشراف على الإذاعة المدرسية، على الرغم من أن طلاب فصولي هم الذين كانوا يتولون أمور الإذاعة من الألف إلى الياء.

وحتى يدرك المدرسون أهمية الدور الذي ألعبه. طلبتُ من طلاب فصولي عدم التواجد في أرض الطابور في صباح اليوم التالي؛ لتقديم الإذاعة، وتركها لزملائهم والمدرسين الآخرين؛ ليظهروا قدراتهم وقدرات طلاب فصولهم. رفض الطلاب في بداية الأمر، لكنهم وقفوا إلى جواري عندما أوضحت لهم المغزى من ذلك.. ولما فشل المدرسون الآخرون في «تدوير الإذاعة»، عادت ريمة إلى عادتها القديمة، إلا أن القلب كان به وجع. وفكرتُ جديًا في ترك المدرسة، والعودة مرة أخرى إلى صاحبة الجلالة.. لكني أجلتُ القرار بعض الوقت.

ويسألونك عن التعليم الفندقي!

في سبتمبر 2016، قالت، مدير قطاع السياحة ببرنامج إصلاح وتطوير التعليم الفني، الدكتورة سها بهجت، إن التعليم الفندقي

يعاني من مشكلات عدة، أبرزها إدراجه تحت بند التعليم التجاري، وعدم وجود قطاع خاص به، وقلة عدد مدارس التعليم الفندقي التي يبلغ عددها 50 مدرسة على مستوى الجمهورية، مقارنة بأهمية القطاع وعائده على الدخل القومي.

وقالت «سها»-في تصريحات صحفية- إن أصحاب الفنادق خائفون من عودة السياحة لوجود عجز ٪70 من العمالة السياحية، موضحة أن العمالة الحالية «موسمية غير مدربة». وأرجعت ٪60 من حالات التسمم بالفنادق إلى عدم وجود خريج فندقي مدرب ملتزم بمعدلات السلامة والصحة.

(17) | مهزلة الامتحانات..
«عينك في ورقة إللي قدامك»

الأيام مرت سريعًا، ولم يتبق على امتحانات الفصل الدراسي الأول إلا بضعة أيام. المدرسون الذين يعلمون بـ«الحصة» أمثالي، ليس من حقهم أداء أعمال المراقبة، والتصحيح، وبالتالي ليس من حقهم الحصول على مكافأة الامتحانات، التي كانت «هزيلة»، قياسًا بما يحصل عليه المدرسون في المدارس الحكومية. لكنها ـ على كل حال ـ «نواية تسند الزير»، أو «أحسن من وشهم» ـ كما كان يقول بعض المدرسين.

«يا ريتني كنت معاهم». قلت لنفسي، متمنيًا خوض تجربة الامتحانات. فطول عمري وهناك مَنْ يراقب عليَّ، ويصحح أوراق إجاباتي، ويُقدر درجاتي، ويعلن نتيجتي.. وحان الوقت لأن أمارس هذا الدور، ولو دون مقابل مادي.. وجاءت الرياح بما اشتهت سفينتي.. وقبل موعد الامتحانات بشرني المدرس

الأول بأن مدرسي الحصص سيكون من حقهم أعمال الامتحانات هذا العام.. كتمتُ فرحي داخلي، وسيطرت عليَّ مشاعر متباينة. فلأول مرة أؤدي هذه المهمة، ولا أدري ما المطلوب مني.

حملتُ أسئلتي، ومخاوفي، وهواجسي، وألقيتُ بها في وجه المدرس الأول، الأستاذ أبو الفضل، الذي طمأنني قائلًا:

كلنا كنا زيك كده.

طب وبعدين يا «مولانا»؟

ولا قبلين يا «منوفي».. هتيجي معانا وهناك هتعمل زي ما زمايلك القدام ما هيعملوا بالظبط.. مش كيميا ولا فيزيا.

على بركة الله.

كان نظام الامتحانات المتبع أن تتم عملية تبادل بين فروع المدرسة.. فجزء من مدرسي فرع الهرم يذهبون إلى بهتيم، وجزء ثانٍ إلى فرع المعادي، وجزء ثالث إلى فرع كرداسة.. وهكذا.. وما ينطبق على فرع الهرم ينطبق أيضًا على جميع فروع المدرسة، بحجة «نزاهة الامتحانات»، وضمانًا لعدم استغلال المدرس نفوذه وسلطته ضد أحد الطلاب.

الحقيقة أن نظام الامتحانات في هذه المدارس ذكرني ـ فيما بعد ـ بـ«نكتة» تقول: (واحد راح يشترى فراخ من محل كبير مخصص لبيع الفراخ، فطلب من الموظف في الدور الأرضي فرخة، قاله الموظف:

عايزها صاحية ولّا مدبوحة؟ رد الراجل: مدبوحة طبعًا. الموظف قاله: اتفضل في الدور التاني.. الراجل طلع، وسأل الموظف في الدور التاني: لو سمحت أنا عايز فرخة مدبوحة. الموظف التاني قاله: عايزها متنضفة ولّا بريشها؟ الراجل قاله: متنضفة طبعًا.. الموظف قاله: طيب اتفضل في الدور التالت. وهناك سأله الموظف التالت: عايزها متقطعة ولّا سليمة؟ وفى الرابع سأله الموظف: تحب تاخدها معاك ولّا نوصلها على البيت؟.. وهكذا حتى وصل إلى الدور الأخير فقال له الموظف: بصراحة ماعندناش فراخ بس إيه رأيك في النظام؟!).

لماذا أستدعي هذه «النكتة»، وإن كانت «بايخة»؛ لأن الحكاية باختصار كانت «كده».. ليس هناك تعليم، ولا امتحانات ـ بمفهومها الحقيقي، ولا أعمال مراقبة أو تصحيح ترضي أصحاب الضمائر الحية. كل الحكاية «ضحك في ضحك».. «ديكور فقط»، أو «كده وكده». وطالما صاحب المدارس «مظبط أموره»، يبقى يعمل إللى عاوزه.

جاء توزيعي ونحو 15 مدرسًا على رأسهم المدرس الأول، في فرع المدرسة في المعادي.. اتفقنا على خط سير الأتوبيس الذي سيقلنا إلى وجهتنا، وانتظار كل منا في الصباح الباكر في مكان واضح حتى لا نتأخر عن موعد الامتحانات. لكني لم أركب

معهم أول يوم. فالمعادي قريبة جدًا من المقطم، حيث تقيم شقيقتي، وكنتُ نائمًا عندها هذه الليلة؛ لتتولى إيقاظي مبكرًا، ولألحق موعدي.

«ربنا يخلصني من العادة المهببة دي». حدثتُ نفسي، فعلى الرغم من أنني استيقظتُ مبكرًا، إلا أنني ذهبتُ إلى المدرسة متأخرًا نحو خمس دقائق، والطلبة دخلوا لجانهم، واضطررت إلى المرور على اللجان؛ لأعرف مكان لجنتي.. وإذ برجل ضخم الجثة، أنيق الهيئة، حاد الصوت ـ عرفتُ فيما بعد أنه الأستاذ «سمير. ع»، مدير المدرسة ـ يستوقفني:

بتلف على إيه يا أستاذ؟

بشوف اللجنة بتاعتي.

وماجتش بدري ليه؟

ساخرًا.. زحمة المواصلات، وسألت كتير لغاية ما حد حرف طريق المدرسة!

طب متتأخرش تاني.

كل تأخيره وفيها خيرة.

ما إن نطقتُ الجملة الأخيرة، وكأنني رفعتُ رجلي عن السوستة فنطت في وجهي:

أنت ليك عين عشان تهرج كمان يا أستاذ؟ دا بدل ما تعتذر عن

تأخيرك؟ أنا ممكن أقولك مع السلامة، وأحسبلك اليوم غياب!
وممكن ليه؟ وعلى إيه كل ده؟ الله الغني يا عم!
يا عم؟!
أيوه يا عم.. سلامو عليكو.

أدرتُ ظهري للمدير، وأطلقتُ لقدمي العنان باتجاه البوابة المغلقة. كنتُ قد اتخذت قراري بالاعتذار عن الامتحانات؛ خاصة أن المقابل المادي لم يكن مشجعًا. كان أربع جنيهات في اليوم. نعم «4 جنيهات»، يعني لو حسبنا الأكل، والشاي، والقهوة، والحاجة الساقعة، والسجائر، والمواصلات، يبقى بندفع من جيوبنا. لكنها التجربة، واكتساب الخبرة.

في طريقي إلى البوابة المغلقة، كانت الأصوات المختلطة تنادي عليَّ. تبينتُ منها صوت «مولانا». طلب مني التوقف. استرضاني. توسط لي عند المدير. لا أدري ماذا قال له. في النهاية عدتُ إلى اللجنة التي شاركني فيها أحد المدرسين من فرع الهرم ـ كما تعرفنا فيما بعد ـ بينما كانت عيون المدرسين والطلاب ترمقني، ولم أكن أدري سر نظرتهم هذه. لكن أحد زملائنا فسرها بأنها نظرة إعجاب؛ لأنني أول مدرس «يكسر» هيبة مدير المدرسة!

كانت التعليمات التي تلقيناها قبل الامتحانات: «الغش ممنوع». التزمتُ بالتعليمات. وزاد التزامي بها بعد الموقف «البايخ»

مع مدير المدرسة. وقفتُ زنهار في اللجنة. أي محاولة للغش سيحرر بها محضر. «مَنْ غشنا فليس منا». «كل واحد عينه في ورقته». بكل غلظة صوت، خاطبت الطلاب.. محذرًا إياهم من التلفت وراءهم، أو على يمينهم أو على شمالهم. كان امتحان «لغة عربية»، مادتي و«لعبتي». زميلي في اللجنة كان مدرس كمبيوتر. طلب مني «تسييب اللجنة شوية». فنظرت إليه نظرة كانت كفيلة بإخراسه بقية وقت الامتحان.

الوقت يمر. وكلما تقدمت عقارب الساعة إلى الأمام، زاد توتر الطلاب وقلقهم. فهم تعودوا على «الغش». من وقت لآخر كان أحد مدرسي المدرسة يمر على اللجان. يطمئن على سير العمل. الطلاب كانوا يتعلقون به، وعيونهم تقول: «متسبناش مع المدرس الرخم ده».. طلب الحديث معي خارج الفصل. وقفتُ على الباب. وخلال حديثي معه، لمحتُ طالبًا يُخرج «ورقة برشام»؛ ليغش منها. فانقضضتُ عليه كما ينقض الصقر على فريسته. وضبطته متلبسًا. وصممتُ على تحرير محضر غش.

أمام وساطات وتوسلات زملائي المدرسين، تراجعتُ عن إصراري، وبعد أن أفهمني «مولانا» أن الامتحانات كلها «تمثيلية بايخة»، والعيال هتنجح بمزاجنا أو غصب عنا..!

«بمزاجنا أو غصب عنا؟». رنت الجملة الأخيرة في أذني،

وكررتها على مسامعي، قبل أن أجيب على نفسي: طالما كده كده هينجحوا، يبقى ينجحوا بمزاجنا.

هذا الموقف أكسبني شهرة في المدرسة. وإن كانت شهرة متناقضة. فالمدرسون سجلوا إعجابهم بموقفي مع مدير المدرسة. بينما الطلاب أخبروا بعضهم بما فعلته في اللجنة. وكانوا يتمنون عدم مراقبتي عليهم.

في الفترة الثانية من الامتحان، تغير الوضع تمامًا. ما إن تسلم الطلاب ورقة الأسئلة حتى طالبتهم بالإنصات لما أقول: «اسمعني يا بني أنت وهو.. أنت جاي امتحان. يعني قلمك معاك، ومسطرتك معاك، وبرشامك معاك.. ربع ساعة وهلم الورق»!

تهلل وجه الطلاب، وحدثت حالة من الهرج، سرعان ما سيطرتُ عليها بنظرة غضب؛ وبدأتُ في إملاء إجابة النصوص والنحو عليهم. بينما وقف زميلي في اللجنة مندهشًا لتصرفي، وكأنه غير مصدق لما أفعله.

كان الطلاب يكتبون ورائي ما أمليه عليهم، إلا أن طالبًا، كان يبدو أنه غير موجود معنا في اللجنة. سألته لماذا لم يكتب مثل زملائه، فأخبرني أنه لا يجيد الكتابة. وقبل أن أنفجر في وجهه، فوجئتُ بمشرفٍ من المدرسة يقف في شباك اللجنة، وأخبرني

هامسًا، أن هذا الطالب يعاني «إعاقة ذهنية»، إلا أن والده ـ الذي يعمل في جهة «عليا» كما قال لي ـ أصر على تعليمه في هذه المدرسة؛ من أجل الحصول على الشهادة فقط، وطلب مني مراعاة ظروفه!

ما فعلته في اللجنة تناقله الطلاب فيما بينهم، واعتبروني «مدرس لقطة». طبعًا «لقطة» بالنسبة إليهم، طالما أغششهم في الامتحان. وسارت كل الامتحانات التالية على هذا المنوال. «الغش سيد الموقف».. والنتيجة النهائية «لم يرسب أحد»!

اضرب كمان.. عاوز أتوبا!

في 2014، كشف تقرير غرفة العمليات المركزية بوزارة التربية والتعليم، عن وجود أكثر من 270 تعديًا من أولياء أمور التلاميذ على مدرسين أومدارس، أشدها تعدي أحدالطلاب على معلم بالإسكندرية «حتى وفاته».

(18) | مدرس تحت تهديد المطاوي!

التيرم الثاني، جاءت قرعة أعمال «المراقبة والتصحيح» في مدرسة «كرداسة». وهذه المدرسة تختلف عن سابقتيها «بهتيم والمعادي». حيث نظام الدراسة فيها «خمس سنوات»، وتمنح «شهادة دبلوم فوق المتوسط»، ما يؤدي إلى خفض مدة التجنيد إلى عام ونصف العام.

الوضع مختلف تمامًا في هذه المدرسة. فمستوى أعمار الطلاب والطالبات أكبر من نظرائهم في المدارس الأخرى. طلاب تحسب بعضهم أولياء أمور، أو أنهم على «وش جواز». طلاب تشعر أن معظمهم يأتي إلى المدرسة ليفعل كل شيء إلا الدراسة. فلم يكن التعليم يتصدر اهتمامهم، ولا في حسبانهم من الأساس.

في أول يوم للمراقبة، عرفني بعض المدرسين الذين جمعتني بهم مدرسة المعادي. رحبوا بي جدًا. والأمر الغريب أن مدير المدرسة، الأستاذ «كمال. أ»، أبدى إعجابه بي، وطلب مني الانتقال إلى التدريس

معه، لكني رفضتُ بأدب؛ مؤكدًا له تعلقي بطلابي في مدرسة بهتيم.

شاء القدر أن تكون الفترة الأولى في لجنة «بنات». ما شاء الله عليهن. حاجة تفرح وتشرح القلب. فمعظم الطالبات ميسورات الحال. وجوههن تسبح بالجمال. ورائحتهن تبهج الأنف. وكالعادة، سارت الأحوال في اللجنة كما تسير السكين في قطعة الجاتوه.

لكن في اليوم التالي حدث ما لم يكن في الحسبان. كانت المراقبة على لجنة في الصف «الرابع بنين». وجوه الطلاب لا تبشر بخير. مظهر كثير منهم يدل على أنهم يتعاطون المخدرات، وليسوا في كامل وعيهم. لا أخفي أن القلق تسرب إلى داخلي. أبلغت زميلي المراقب بما يعتمل في صدري. إلا أنه شاركني هذا التخوف.

خلال توزيع أوراق الإجابة، حاولت التغلب على توتري. وألقيتُ عليهم «الشعار» الخاص بي: «أنتم جايين امتحان. يعني قلمكم معاكم، ومسطرتكم معاكم، وبرشامكم معاكم.. وبعد ربع ساعة هلم الورق»، وأعقبتُ الشعار بقولي: «تمام يا رجالة؟» فجاء الرد: «تمام يا مستر»! وفجأة وقف أحد الطلاب، وقفة «السكران» قائلًا: «لأ مش تمام.. الوقت ساعتين ومش هنطلع إلا بعد ساعتين»!

تكهرب الجو داخل اللجنة، إلا أنني سيطرتُ على زمام الأمور من جديد، مخاطبًا إياه: «حقك طبعًا.. ساعتين ساعتين.. بس الاتفاق إللي بينا اتغير.. إللي هظبطه بيغش هعمله محضر. وكل واحد يورينا

شطارته».

كنتُ جادًا في كلامي للطلاب، ولم تفلح محاولات المدرسين الآخرين فى إثنائي عن قراري بالسماح لهم بالغش. حتى عندما حاول أحد مدرسي المدرسة أن يغششهم من ورائي نهرته، وشخطتُ فيه شخطة كانت كفيلة بعودته من حيث أتى. وبالفعل لم أترك اللجنة إلا بعد انتهاء الوقت المحدد للامتحان، مصحوبًا بتهديد ووعيد بعض الطلاب.

وما إن انتهى اليوم، وبينما أنا في طريقى لركوب «الباص» الخاص بالمدرسين، استعدادًا للعودة، حتى استوقفني بعض الطلاب. كان أحدهم ممسكًا بـ«مطواة». إنه الطالب «السكران» الذي «عكنن» على زملائه. حاول الاحتكاك بي، بينما بقية زملائه يحاولون منعه، لكني طلبتُ منهم تركه. حاولتُ أن أبدو متماسكًا.

واجهتُ الطالب «السكران» والخوف يدب في أوصالي. استجمعت شجاعتي وخبرتي في التعامل مع مثل هذه المواقف. قلتُ له إنه السبب في حرمانه هو وزملائه من «الغش». وليس لي أي مصلحة في أن يرسب. ووعدته بعدم تكرار تصرفي حال التزم هو بالأدب، وبالشروط التي أقررها داخل اللجنة. فانصرف بعد أن اعتذر لي. وهكذا نجوتُ من الإصابة المحتملة، وكنتُ عند وعدي في أيام الامتحانات التالية!

(19) | تصحيح كده وكده!

بعد أن انتهينا من أعمال الامتحانات، تم تجهيز مكان بمدرسة المعادي؛ لإجراء عمليات التصحيح ورصد الدرجات. وكما ذكرت سابقًا، أنها كانت المرة الأولى لي. فلم أكن مارست هذه الأعمال من قبل. لكن على كل حال، سأفعل كما يفعل المدرسون الآخرون، الذين طمأنوني: «سيبلنا نفسك خالص، وهتلاقي العملية مفيش أسهل منها».

لم أكن أتصور أن مستقبل الطلاب يتعلق بـ«حتة ورقة». ورقة امتحان آخر العام. ورقة الخطأ فيها بالزيادة قد يرفع درجاته ليدخل إحدى كليات القمة، بينما الخطأ بالنقصان، ربما تجعل الطالب يعيد السنة. وكم رأينا وسمعنا عن مآسٍ كان البطل فيها الخطأ في التصحيح. وهذه المشكلة ـ وإن كانت أقل حدة في سنوات النقل ـ تظهر بضراوة في امتحانات الثانوية العامة. ويتبادل الطرفان ـ الطالب والمدرس ـ

الاتهامات. الأول يؤكد أن الثاني ظلمه، ولم يعطه حقه. والثاني يلقي باللائمة على الأول، ويؤكد أنه عمل على مصلحته، وأعطاه حقه في الدرجات كما يستحقها. بل أعطاه أكثر مما يستحق.

هذه الإشكالية تدفعنا إلى طرح تساؤلات عدة: «كيف يتم تصحيح أوراق الإجابات؟ وهل تتم بشفافية تامة وكل طالب يأخذ حقه، أو أن هناك بعض المجاملات؟ ومَنْ الذي يشرف على هذه العملية؟ وماذا عن الظروف التي يعمل بها مقدرو الدرجات؟ وما السبب في الشكوى الدائمة؟».

الأسئلة السابقة لا تقتصر على الثانوية العامة فقط، بل كل المراحل التعليمية من الابتدائي إلى ما شاء الله؛ لنقف على أبعاد المنظومة التعليمية كاملة والمشاكل التي تقابل كل الأطراف بها.

قبل البدء في عملية التصحيح والمراجعة، كان مدير المدرسة والمعاونون له، أعدوا كشوفًا بأسماء وتواقيع المصححين ومقدري الدرجات. وأخذ رئيس اللجنة يملي علينا بعض التعليمات والقواعد، التي يبدو من كثرة تكرارها، أصبح يرددها بطريقة آلية، ثم سلمنا صورة من ورقة تحتوي على بعض الإرشادات:

(تقدير الدرجات يكون طبقًا لنماذج الإجابة وتوزيع الدرجات على فروع المادة.. عند تدوين الطالب عدة إجابات للسؤال الواحد، تُصحح جميعها ويؤخذ أعلى درجة يحصل عليها.. توضع إشارة «× أو

صفر» على السؤال المتروك في خانة درجة السؤال وتدون كلمة «متروك أو لا شيء» في خانة الكتابة.. تصحح الأوراق بقلم أحمر، وتُراجع مراجعةً أوليةً بلونٍ أسود قبل تسليمها للجنة الرصد وتُكتب كلمة «روجعت» مع كتابة اسم المصحح و المراجع وتوقيعهما).

(تُسلِّم لجنة تقدير الدرجات أوراق الإجابة متسلسلةً بعد الانتهاء من تصحيحها ومراجعتها للمسؤول الذي بدوره يقوم بالتوقيع على الكشوف المخصصة لتسليم أوراق الإجابة.. تراجع أوراق الإجابة مراجعة دقيقة؛ للتأكد من أن جميع الإجابات قُدِّرت وروجعت ودُقِّقت مع كتابة الأسماء صريحة للمصححين والمراجعين والمدققين).

وهناك بعض القواعد المتبعة عند تصحيح الورقة الامتحانية، نذكر منها: استلام أوراق الإجابة في محضر رسمي، والتأكد من العدد، وسرية الأرقام، وعدم وجود قطع فيها.

تقدير الجزيئات لكل سؤال، وتثبيت الدرجة علي يسار الإجابة بوضوح، مع وضع الدرجة الكلية للسؤال داخل دائرة في آخر جزئية للسؤال على هيئة كسر اعتيادي مقامه هو الدرجة الكلية المخصصة للسؤال وبسطه مجموع جزيئات الدرجة للسؤال مع تفقيط الدرجة.

إذا حل الطالب سؤال الاختيار من متعدد مرة أخرى كاملًا، يُصحح ويحتسب له الأكبر في الدرجات.

السؤال المتروك يوضع داخل دائرة في آخر ورقة في كراسة الإجابة،

ويُكتب داخل الدائرة متروك، ومن خارج الدائرة رقم السؤال، مع توقيع المصحح والمراجع عليه، ثم يخرج على «المراية» متروك مع التوقيع لكل من المصحح والمراجع . وإذا حصل طالب على «صفر» فنكتب «لا شيء».

الأوراق التي تحوي ما يدل على شخصية صاحبها تُسلم في سرية تامة إلى لجنة النظام والمراقبة، بعد عمل محضر بها لإجراء اللازم.

تُراجع مراجعة دقيقة الورقة الحاصلة على الدرجات النهائية للمادة. والورقة الحاصلة على «صفر».

المكان المعد للتصحيح وتقدير الدرجات بمدرسة المعادي لم يكن ملائمًا. كان أحد الفصول الذي أُعد على عجل، ووضعت الكراسي في مواجهة بعضها البعض، وجاء جلوسنا عليها أيضًا بنفس الهيئة. ستة أو سبعة مدرسين يتحلقون حول ورقة الإجابة. يبدأون عملهم بكتابة «المراية» ـ (وهي عبارة عن كتابة فروع أسئلة الامتحان على أول ورقة بعد نزع «التكت» المكتوبة عليه بيانات الطالب). وبعد انتهاء التصحيح وتقدير الدرجات يكتبونها في صدر الورقة الأولى.

بعد توزيع أوراق الإجابة علينا، والشروع في التصحيح، دخل علينا «كبير مستشاري اللغة العربية». مؤكدًا على إعطاء كل طالب الدرجة التي يستحقها، حتى ولو كانت «صفرًا».. الجدية التي كانت تحملها ملامح وجه «المستشار»، وهو يؤكد علينا، تقول «مفيش تهاون

مع المقصرين»، و«مفيش حد هينجح غير بمجهوده». لكن يبدو أنني أخطأت قراءة وجه مستشار المادة.. فما حدث بعد ذلك يندى له الجبين!

أربع ساعات فقط، كانت المدة المسموحة لنا للانتهاء من تصحيح أكثر من «300 كراسة إجابة». كيف ذلك؟ وفي عرف مَنْ؟ لا أدري؛ لذا كانت الورقة تنتقل من مصحح إلى آخر في لمح البصر، بينما تقف كثيرًا في محطتي؛ لأنني أصحح بـ«ذمة»، مثلما أكد مستشار المادة.. بينما كان المصحح الجالس إلى جواري يستعجلني: «أنت لسه هتقرا؟ أنجز يا مولانا.. أي درجة نجاح والسلام»، ثم مال عليَّ قائلًا: «يا باشا التصحيح ده كده وكده.. وكل الطلاب هينجحوا.. والمستشار بيقول الكلمتين دول كل سنة».

الدهشة من كلام زميلي ارتسمت على وجهي، ولما استفسرت من زملاء آخرين أكدوا نفس الكلام: «تصحيح أوراق الإجابة مجرد شكليات عشان الوزارة. لكن مفيش حد بيسقط غير إللي مش بيحضر الامتحان». وأكد على نفس الكلام المدرس الأول، «مولانا» الذي ألمح إلى ذلك دون أن يصرح!

«يا صلاة النبي أحسن». حدثتُ نفسي. قبل أن أوجه حديثي للجالس إلى جواري:

طالما العملية بالشكل ده، يبقى لزمته إيه التصحيح؟ وليه غاويين تعب؟

لازم نكمل المسرحية للآخر.

دي مسرحية بايخة، والمتفرجين زهقوا من تكرارها.

طب استهدا بالله وابدأ تصحيح خلينا نخلص ونروّح.

للأسف.. أعترف بأنني شاركتُ في ارتكاب حماقة، والمساهمة في إنتاج جيل مشوه. جيل غشاش. جيل لم يكن يستحق النجاح، بقدر ما كان يستحق دخول فصول محو الأمية، أو العودة من جديد إلى «كي جي وان»؛ ليبدأوا رحلة تعليمهم من جديد!

كنا نعمل على مصلحة الطالب أولًا وأخيرًا. نعطيه أكثر مما يستحق، خاصة الطالب الفاشل.. إذا قدم الطالب إجابة أخرى تتشابه مع النموذج نعطيه الدرجة كاملة.. لم نكن نلتزم بنموذج الإجابة.. بل لم نكن نقرأ الإجابة من الأساس.. وفي كثير من الأحيان كنا نضع الدرجة في «المراية»، قبل وضعها في ورقة الإجابة.

باختصار عملية تصحيح الامتحانات، وتقدير الدرجات للطلاب كانت «ميغة». كنا نرتكب «جرائم» مع سبق الإصرار والترصد. نرتكب حماقات لن يسامحنا عليها التاريخ الإنساني، بل والحيواني أيضًا.. كان لزامًا علينا إن لم نستطع جعل النتيجة «٪100»، فأضعف الإيمان تكون بنسبة «٪99.99»، حفاظًا على «سمعة المدرسة»، وحرصًا على جذب آلاف الضحايا الجدد، الذين يعتقدون أن مستقبلهم «مضمون» في هذه المدرسة!

(20) | تزوير النتيجة وبيع إجابة الامتحانات!

ربما يظن البعض أن «فساد التعليم» مقتصر على بعض المدارس الخاصة فقط، لكن الحقيقة أن الفساد موجود، وبقوة، في المدارس الحكومية أيضًا. ولعل ما يؤكد ذلك التقرير المنشور في موقع «دوت مصر»، تحت عنوان: (تفاصيل تزوير نتيجة الشهادة الابتدائية في الجيزة.. و«التعتيم» سيد الموقف)

وإلى نص التقرير:

(شهدت مديرية التربية والتعليم بالجيزة، واقعة فساد جديدة، أبطالها قيادات كبرى بإحدى الإدارات التعليمية بالمحافظة، والذين جمعهم اجتماع مغلق لعقد بنود «الصفقة الحرام» لاستغلال «التلامذة» وأولياء الأمور في «تلميع» تاريخهم المهني، والحصول على مراكز متقدمة بين الإدارات التعليمية، في نتيجة الشهادة الابتدائية، من أجل تحقيق مكاسب شخصية، وحمدهم «بما لم يفعلوا»، وسط

إهمال من قبل المخولين بالتفتيش والمتابعة على مديري الإدارات بمديرية التربية والتعليم بالجيزة.

تقرير تلقته هيئة الرقابة الإدارية، ومديرية التربية والتعليم بالجيزة، كشف النقاب عن الفساد الداخلي للإدارات التعليمية، حوى تفاصيل اجتماع مغلق، ما بين أحمد مبارك المحفوظي، مدير عام إدارة البدرشين التعليمية، وأحمد حمدي، رئيس الكنترول، متهمًا إياهم بالاتفاق على رفع نسبة ودرجات الطلاب للحصول على مراكز متقدمة في ترتيب الإدارات التعليمية في نتيجة الشهادة الابتدائية بالمخالفة للواقع والمستوى الحقيقي للعملية التعليمية بالبدرشين.

واتهم التقرير، مدير عام الإدارة، بوعد رئيس الكنترول بمكافأة مقابل رفع نسبة النجاح بالنتيجة، مؤكدًا له أنه تم عقد اجتماع مع موجهي اللغة العربية، والاتفاق معهم على اتباع طريقة تمكنهم من تحقيق هدفهم دون الوقوع تحت طائلة القانون، من خلال تصحيح ورقة الامتحان وإعطاء الطلاب أقصى الدرجات الممكنة دون تصحيح موضوعات التعبير والإنشاء.

وعقب الانتهاء من تصحيح الورقة ووضع الدرجات الخاصة بالأسئلة، وتقييمها خارجيًا، يتم تقييم موضوع الإنشاء، وإعطاء الطلاب الدرجة النهائية عليه بنسب متفاوتة من أجل إظهاره بمظهر

المخلص والجاد في عمله وتحسين صورته أمام قياداته.

كما شمل التقرير تفاصيل إعلان مدير الإدارة لنسبة النجاح عبر صفحته الرسمية على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك»، قبل أسبوع من مراجعتها واعتمادها وإعلانها من قبل المديرية واللواء محمد كمال الدالي، محافظ الجيزة، الأمر الذي تسبب في حالة من البلبلة لدى أولياء الأمور، وغضب قيادات المديرية، وهو ما تسبب في تعنيفه فقط من قبل محمد عبد الهادي القطب، وكيل الوزارة ـ بحسب التقرير ـ ووضعه في اتهام مباشر بأن هناك اتفاقًا مسبقًا بوصول النتيجة لنسبة تتجاوز الـ٪95 التي أعلنها مدير الإدارة على صفحته الشخصية على «فيسبوك».

الغريب في الأمر ـ كما يقول التقرير ـ أن ترتيب إدارة البدرشين التعليمية كل عام بنتائج الشهادات كان يتذيل قائمة الإدارات، وحصلت الإدارة العام الماضي على المركز الـ15 في الترتيب، وهو الأمر الذي يؤكد الشبهات التي تحوم حول حصولها على المركز الثاني بنسبة تجاوزت الـ٪97، بينما لم يمر سوى بضعة أشهر على تولي «المحفوظي» الإدارة.

وعلى الرغم من استياء وكيل الوزارة لإعلان «المحفوظي» النتيجة قبل اعتمادها، وما يترتب على ذلك من وجود شبهات فساد إلا أنه اعتمد النتيجة بحصول البدرشين على تلك النسبة دون

مراجعة التصحيح أو إعادته مرة أخرى والتحقيق في الأمر، وهو الأمر الذي أكده مصدر مسؤول بديوان عام المديرية بأن هناك اتجاهًا للتعتيم على الأمر ومروره دون مشاكل تذكر، وهو ما يفسر تأخر المديرية في عرض التقرير الذي تلقته والتحقيق فيه).

انتهى التقرير، وما خفي كان أعظم. فهل هناك شك في فساد بعض القائمين على المنظومة التعليمية؟

وهناك تقرير آخر منشور في موقع «دوت مصر»، بتاريخ 19 يونيو 2017. بعنوان: « تعليم الجيزة تعترف ببيع إجابات الامتحانات للطلاب»، وتثبت صحة ما أشرنا إليه، إذ يقول التقرير: (أكد محمد عبد الهادي القطب، وكيل وزارة التربية والتعليم بالجيزة، أنه تم تشكيل لجنة للتحقيق في واقعة بيع نماذج إجابات الامتحانات لطلاب مدرسة المنى الابتدائية بإدارة جنوب الجيزة، بعد نشر «دوت مصر» شكوى أولياء الأمور من تكرار تلك الواقعة.

وقال عبد الهادي: إن اللجنة قامت بالتحقيق في الواقعة، وبسؤال الطلاب وعدد من المعلمين تأكدت صحتها، وبناء عليه تم استبعاد «ن. م»، المعلم المرتكب لتلك المخالفة، وإحالته للتحقيق بالشؤون القانونية، لافتًا إلى أنه تم إعداد إفادة موقع عليها نحو 30 تلميذًا بالمدرسة، وعدد من أولياء الأمور بصحتها.

وأضاف أنه قد تقرر انتداب المعلم لإدارته لحين انتهاء التحقيقات،

منوهًا إلى أنه تم اكتشاف العديد من المخالفات بالمدرسة وعلى رأسها قيام الأخصائية الاجتماعية ببيع الزي المدرسي، بالمخالفة للقانون، والتلاعب في تصنيعه لاحتكاره، والتربح المخالف من ورائه بمبالغ تصل إلى 30 ألف جنيه، إضافة إلى استغلال مقصف المدرسة بشكل مخالف بالتعاون مع عامل المدرسة، وهو ما يعد مخالفة في حد ذاتها.

وتابع أنه تم استبعادها عن العمل وإعداد تقرير بالمخالفات، وإحالتها للشؤون القانونية؛ لاتخاذ الإجراءات اللازمة حيالها).

انتهى التقرير، لكن لم تنتِهِ الوقائع المؤسفة.

(21) | مستقبل مصر في يد «الغشاشين»!

لأسباب عديدة، وبعد تجربة لم تستمر طويلًا، تركتُ المدرسة.. تركتها بكل ما فيها من «الغش»، و«التدليس». وأعترف ـ آسفًا ـ بأنني شاركتُ في هذه المنظومة «الفاسدة». والشيء الجميل الذي خرجتُ به من هذه التجربة أن بعض الطلاب الذين توسمتُ فيهم خيرًا، لم تنقطع صلتي بهم إلى الآن.

كما أعترف بأنني لم أستطع أن أنأى بنفسي من الوقوع في هذا «الوحل»، أو على الأقل التخفيف من وطأته. فالمنظومة التعليمية لا تحتاج إلى علاج بطيء بقدر ما هي بحاجة إلى «النسف»، والبناء على قاعدة جديدة؛ قاعدة قائمة على تطوير المهارات. قاعدة لا تعترف بالحفظ والتلقين؛ قاعدة بعيدة عن القوالب الجامدة، والمناهج العقيمة؛ قاعدة لا تعترف بـ«الغش» وتتصدى ـ بكل حزم ـ للغشاشين.

وعلى الرغم من مرور خمسة عشر عامًا على هذه التجربة، إلا أن الوضع «السيئ» في المدارس لم يتغير. بل يتقدم بقوة إلى الخلف.

وفي السادس من شهر يونيو 2016، وأثناء امتحانات الثانوية العامة، نشرت مقالًا في بوابة «فيتو» الإلكترونية، تحت عنوان «مستقبل مصر في يد الغشاشين»، حذرت فيه من استمرار الغش في الامتحانات، ومدى خطورة هذه «الآفة» على مستقبل البلاد، إذا لم تواجه بكل حسم وحزم.

وإلى نص المقال:

لم أندهش لجريمة «الغش» التي شهدها امتحان «اللغة العربية» للثانوية العامة، ولا لإلغاء «التربية الدينية» بسبب «تسريب» الامتحان قبل موعده بساعة ونصف الساعة، حسبما قال المتحدث باسم وزارة التربية والتعليم، بينما أكد طلاب وأولياء أمور أن الأسئلة والإجابات «النموذجية» للمادتين كانت تباع في المكتبات «ليلة الامتحان»!

لقد أصبح معظمنا يتعامل مع الغش بـ«ميكافيللية قذرة»، ووفق منهج: (يبقى اسمه «تهامي» ويركب سيارة «مرسيدس»، ولّا يبقى اسمه «شادي» ويتشعبط في «الأتوبيسات»؟!).. أي: «تغش» وتحصل على مجموع «كبير» وتلتحق بكلية «قمة»، أم تذاكر وتحصل على مجموع «صغير» لا يكفي لالتحاقك بـ«معهد التسريب العالي

للغش المتطور»؟!

نعم.. قبل انتقاد المسؤولين، واتهامهم بالتقصير، وتحميلهم المسؤولية، علينا توجيه اللوم لأنفسنا ـ نحن الأهالي والطلبة ـ أولًا؛ فالعيب فينا قبل أن يكون في المسؤولين القائمين على وزارة «التعمية والتكتيم».

فكم مرة «غششنا» فيها؟ كم مرة ملأنا الدنيا صراخًا، وعويلًا لمجرد أن جزئية في الامتحان جاءت «صعبة»، أو سؤالًا «غير مباشر»، يحرض «العقل» على «التفكير»؟ كم مرة «لَعنَّا سلسفيل المراقبين»؛ لأنهم كانوا «ماسكين اللجنة»، ولم يسمحوا بـ«الغش» لفلذات أكبادنا؟

بل كم مرة باركنا أولادنا، وحرضناهم على «الغش»، بدلًا من حثهم على «المذاكرة»، و«الاجتهاد»؛ فكانت النتيجة أن أصبح عندنا رئيس وزراء «يرفع» المفعول، ووزير داخلية «يسحل» الفاعل، ورئيس برلمان «ينصب» المضاف إليه.. ووزير «تعليم» يخطئ في «الإملاء».. ونوابٌ، وسياسيون، وأكاديميون لا يعرفون الفارق بين «الهاء» و«التاء المربوطة»!

لقد أصبح الغش «قاعدة»، بعدما كان «استثناءً».. بات مدعاة لـ«التفاخر»، و«التباهي»، و«الفهلوة»، بعدما كان «مستقبحًا»، «مستنكرًا»، «مستقذرًا».. وتوارى الحديث الشريف: «مَنْ غشنا

فليس منا»، أمام مقولة: «لكل غشاش نصيب».. واختفت الحكمة القائلة: «مَنْ جد وجد، ومَنْ زرع حصد»، و«لكل مجتهدٍ نصيب»، أمام مقولات «سلبية» على غرار: «نام وارتاح يأتيك النجاح»، و«نام واتغطى بالبطانية تطلع الأول في الكلية»، و«إذا كان من حقك أن تذاكر فمن حقي أن أغش».. فماذا ننتظر بعد ذلك؟!

التعليم عندنا يبدأ وينتهي بـ«التلقين»، و«الحفظ»، و«حشو» العقول بمعلومات ومواد «عقيمة».. وحتى نثبت لأنفسنا أننا نسير في طريق النجاح، نداري على «خيبتنا الثقيلة» بـ«رشاوى المدرسين» بـ«الدروس الخصوصية»؛ ليسمحوا لنا بـ«الغش التعاوني».. في حين تحتكر الدولة «الغش الرسمي»؛ بتوفير امتحانات «سهلة» بزعم الالتزام بالمنهج «المقرر».. أو بالضغط من «القيادات» على مديري المدارس والإدارات لـ«رفع نسبة النجاح».. فتكون النتيجة: مجاميع مرتفعة، وعقول فارغة، وملايين الخريجين الذين لا يرقى مستواهم إلى مستوى خريجي «محو الأمية».

وللأسف لم يعد الغش مقتصرًا على التعليم العام فقط، بل تغلغل في «الأزهر» أيضًا.. وتجسدت أركان هذه الجريمة في محاضر الغش للطلبة «المُعممين»، حتى في مادة «القرآن الكريم».. ورأينا أئمة وخطباء مساجد هم للجهل أقرب من العلم.. فكيف اجتاز هؤلاء امتحاني القرآن ـ «الشفوي والتحريري» ـ إلا إذا كانوا قد نجحوا

بـ«الغش»؟!

وللأمانة فإن «الغش» لم يعد مقتصرًا على «التعليم»، بل أصبحنا نطالعه في كل المجالات.. غش «ديني».. غش تجاري.. غش صناعي.. غش في مواد البناء.. غش وسرقات رسائل ماجستير ودكتوراه بين أساتذة الجامعات.. غش وتزوير في الانتخابات.. غش في «استطلاعات رأي» تُظهر رضاء «٩١٪» من المصريين عن أداء الرئيس، رغم وجود مؤشرات «قوية» على تراجع شعبيته.. إلخ.

إذن نحن بانتظار «مستقبل» تقودنا فيه مجموعة من «الغشاشين»؛ فالطالب «الغشاش» اليوم هو «قائد» المستقبل.. فكيف نطمئن على مستقبلنا الذي سيكون مرهونًا بقيادات تربوا على «الغش»، ونجحوا بـ«الغش»، وتوظفوا بـ«الغش»، ووصلوا إلى مناصبهم القيادية بـ«الغش»؟!

إن الأمر جد خطير، ولا بد من تشكيل لجان متخصصة لدراسة هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة، والوقوف على أسبابها، وتقديم مقترحات لحلها.. على أن تتضمن هذه المقترحات سن قانون صريح لـ«تجريم الغش»، واعتباره كجريمة «الخيانة العظمى»، ولا ينبغي التهاون في تنفيذ العقوبات «المغلظة» على فاعله، ومَنْ يسهله.

ثم علينا بتطوير نظام «التقويم»، بحيث لا يعتمد على درجات الامتحانات فقط، بل أيضًا على وسائل حديثة لا مجال فيها للغش..

بجانب العمل على إعادة الثقة بين البيت والمدرسة؛ للحد من انتشار المفاهيم والسلوكيات الخاطئة.. بالإضافة إلى إحياء الوازع الديني والأخلاقي في نفوس الطلاب وأولياء أمورهم.

فهل وصلت الرسالة؟

(22) | مسك الختام

هل معنى ما سبق أن نفقد الثقة في التعليم والمنظومة التعليمية؟ هل معنى أن هناك فسادًا في إحدى المدارس أو الإدارات أن منظومة التعليم كلها فاسدة، ولا أمل في إصلاحها؟

قطعًا لم نقصد ذلك، ولا يمكن أن نعمم الخطأ على كل مدارس وإدارات وزارة التربية والتعليم، مع تسليمنا الكامل بأن هناك مشاكل وصعوبات تواجه العملية التعليمية لا يمكن حلها وتخطيها بنفس طريقة التفكير التي نشأت بها هذه المشاكل.

لقد مر التعليم بمراحل تقدم كثيرة، إذ استخدم القلم والكتاب، ثم الكاميرا والصورة، والحاسب الآلي وشرائح الذاكرة، وكل شيء تغير ـ تقريبًا ـ إلا شكل المدرس والمدرسة.

نحن الآن أمام ثلاثة سيناريوهات للتعليم في مصر؛ السيناريو الأول أن يظل الحال على ما هو عليه. والثاني يتمثل في التطوير بجدية تحت مظلة واضحة تلتزم بها الحكومات المتتالية. والثالث أن يكون هناك إبداع في

وضع سياسات التعليم بشكل غير مسبوق.. لكن مشكلة وزارة التربية والتعليم أنها اكتفت بالسيناريو الثاني «التطوير دون إبداع»!

علينا أن نعترف بأن الغالبية العظمى من المصريين لا يثقون في القائمين على تطوير العملية التعليمية. من هنا يجب على الدولة أن تكون لديها سياسة وطنية «معلنة» لتطوير التعليم، وإسناد تنفيذ هذه السياسة لرجال من ذوي الكفاءة والخبرة والثقة.. لا بد من التطوير على مراحل، وبتخطيط جيد، وميزانية ملائمة.

ثم إن الأهم من كل ذلك ـ على الأقل من وجهة نظري ـ الاهتمام بالمعلمين، وسد العجز الناتج عن سوء التوزيع، ومعاملتهم ـ على الأقل ماليًا ـ كالقضاة والدبلوماسيين والعاملين في شركات البترول؛ حتى نغنيهم عن التسول باسم الدروس الخصوصية. فالمعلم هو «عمود الخيمة» في العملية التعليمية.. أيضًا، لا بد من الاهتمام بتدريب المعلمين على طرق ومهارات التدريس الجديدة، وتنمية مهارات التفكير الناقد، وحل المشكلات لدى طلاب المدارس.

كذلك لابد من إلغاء الربط بين الشهادة والعملية التعليمية، ولابد من التعامل مع التعليم على أنه يخلق الإنسان السوي، وليس مجرد وسيلة للحصول على الشهادة، وكل هذا لا يمكن تنفيذه مركزيًا، بل لابد أن يكون كل مدير مديرية في كل محافظة هو وزير تعليم في محافظته في إطار قواعد عامة تضعها وزارة التعليم.

الفهرس

1 - قبل الغوص في الوحل 5

2 - مقدمة لا بد منها 11

3 - قَلَبِتْ بجد 17

4 - بهتيم بهتيم بهتيييم! 23

5 - لقاء مع «أبو الغضب» 27

6 - يا فتاح يا عليم 35

7 - «الأومباشي» محمد أفندي 43

8 - الطريق إلى «أ، ب، ت...» 49

9 - عِش الدبابير 55

10 - موقف مُحرج 61

11 - صِدام مع المدير 67

12 - رئيس مباحث في المدرسة 73

13 - درس خصوصي 77

14 - «الشاويش منال» 81
15 - «لجنة وزارية».. المهم الروتين! 87
16 - مدرس عربي وجغرافيا وE! 95
17 - مهزلة الامتحانات.. «عينك في ورقة إللي قدامك» 103
18 - مدرس تحت تهديد المطاوي! 111
19 - تصحيح كده وكده! 115
20 - تزوير النتيجة وبيع إجابة الامتحانات! 121
21 - مستقبل مصر في يد «الغشاشين»! 127
22 - مسك الختام 133